أدلة الوحدانية
في
الرد على النصرانية

تأليف

القرافي شهاب الدين

(٦٢٦ - ٦٨٤هـ)

تحقيق

عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

أدلة الوحدانية
في
الرد على النصرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى أن وفقني لخدمة واحد من كتب الأئمة المسلمين في الرد على النصارى وعقائدهم، وهو كتاب أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية للشيخ أحمد بن إدريس القرافي رحمه الله (٦٢٦ ـ ٦٨٤ هـ).

وقد ترك لنا السلف من العلماء المصنفات والرسائل الكثيرة التي كشفوا فيها شبهات النصارى ضد الإسلام، ودحضوا لهم كل حجة، وفندوا لهم كل قول فيما يعتقدونه في المسيح عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله، وأثبتوا نبوته، وبينوا ما تضمنته كتبهم من البشارات الكثيرة بنبوة محمد ﷺ على ما تعرضت فيه من تحريف ونقص وزيادة.

وقد تضمن هذا الكتاب كل ذلك وزاد بأن ذكر ما حدث في مجامعهم على وجه التفصيل، هذه المجامع التي لم تحقق جمعاً وإنما خلّف كل مجمع منها لعناً وشتماً وفرقة. فكان كل مجمع يوصي بلعن المجمع الذي كان قبله، وليس منشأ هذا إلا اعتمادهم في أقوالهم وآرائهم على الظن وما تهواه أنفسهم. وهذا أكده القرآن الكريم غاية التأكيد. قال تعالى: ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا أتباع الظن﴾[1].

(١) النساء: ١٥٧.

وقد تعقب المصنف هذه المجامع موضحاً تهافت توصياتها وما كان يتمخض عنها بما يسمونه «الأمانة» كما ستجده في الكتاب.

وقد وجدت هذه المخطوطة مصورة في مؤسسة الملك فيصل الخيرية ـ مكتب المخطوطات ـ برقم (١٠٥) ميكروفيلم، ووجدت من الإخوة القائمين على هذا القسم كل تعاون وتجاوب في سبيل استخراج هذه المخطوطة وتحقيقها فجزاهم الله عني خير الجزاء، ووفقنا وإياهم لما فيه خدمة هذا العلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ترجمة المؤلف

هو الشيخ الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن المصري الصنهاجي الهفشي - من قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) القرافي المالكي الفقيه الأصولي المفسر .

ولد - رحمه الله - بمصر سنة ٦٢٦ ، وكان إمام المالكية في عصره، وأفضل أهل عصره من العلماء بمصره. قال قاضي القضاة تقي الدين ابن شكر: «أجمع الشافعية والمالكية على أن أفضل أهل عصرنا بالديار المصرية ثلاثة: القرافي بمصر القديمة، والشيخ ناصر الدين ابن المنير بالإسكندرية، والشيخ ابن دقيق العيد بالقاهرة»[٢] وكذلك عده السيوطي رحمه الله في طبقة من كان بمصر من المجتهدين[٣] .

أما سبب شهرته بالقرافي، فقد ذُكر أنه كان إذا خرج من منزله في دير الطين بمصر القديمة ذاهباً إلى المدرسة مرّ في طريقه بمقبرة تسمى القرافة، وحدث أن كاتب أسماء الطلبة في ثبت سماعهم للكتاب عند الفراغ منه لم يعرف اسمه، وكان هو حينئذ غائباً، فأثبته باسم القرافي لاعتياده المجيء من تلك الطريق، فلزمته هذه النسبة واشتهر بها .

(٢) انظر الديباج المذهب ٦٥ .
(٣) حسن المحاضرة ١/١٢٧ .

شيوخه

ومن أشهر شيوخه الإمام عز الدين ابن عبد السلام الشافعي الملقب بسلطان العلماء، والإمام شرف الدين محمد الكركي، والشيخ أبو بكر محمد الإدريسي، والشيخ خسرو شاهي، والشيخ ابن الحاجب رحمهم الله.

على أنه كان متأثراً بالشيخ عز الدين بن عبد السلام أكثر من غيره من المشايخ، وعرف عنه كثرة ملازمته له، ويظهر ذلك بوضوح من خلال تصانيفه، فقد كان يكثر من ذكره فيها، فمثلاً قال في كتابه «الفروق»(٤) عن الشيخ: «فلقد كان شديد التحرير لمواضيع كثيرة في الشريعة معقولها ومنقولها، وكان يُفتح عليه بأشياء لا توجد لغيره، رحمه الله رحمة واسعة».

كذلك قال: «ولقد حضرت يوماً عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين، والقيام بمصالح المسلمين خاصة وعامة، والثبات على الكتاب والسنة، غير مكترث بالملوك فضلاً عن غيرهم، لا تأخذه في الله لومة لائم»(٥).

بيد أن القرافي كان مهتماً بملك عصره اهتماماً كبيراً، ولا غرابة أن يأتي هذا الكتاب الذي حققته كهدية قيمة له، حيث كان كثيرون مثله يتسابقون إلى إهدائه التصانيف والأشعار، فقد قال في مقدمة كتابه: «هذا ولما رأيت مولانا السلطان الملك الكامل الناصر... قد أقام للعلوم أسواقاً فأفاضت به تفد الأفول أقماراً... فصار جنابه مراد الرائدين، وملجأ الوافدين والقاصدين، وموسم الآمال، وكعبة الإقبال، يهدي إليه كل أحد على قدرته وطاقته.. فرأيت أن أصنف لمولانا السلطان أعزه الله في الرد عليهم (النصارى) كتاباً أتحفه فيه بغريبه، وأنفرد فيه بطريقة عجيبة».

ولما كان بارعاً في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية ـ كما اشتهر

(٤) الفروق ٢/١٩٧.

(٥) الفروق ٤/٢٥١.

عنه - إلى جانب براعته في فنون العلوم وأصنافها سارع إلى تعديل آلة صنعت للملك الناصر آنذاك. فقد جاء في كتاب التصوير عند العرب أن الشيخ القرافي قال: «بلغني أن الملك الكامل وُضع له شمعدان كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان وقال: صبح الله السلطان بالسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع.

قال: «وعملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، فإذا طلع شخص على أعلى الشمعدان، وإصبعه في أذنه يشير إلى الأذان، غير أني عجزت عن صنعة الكلام»[٦].

قلت: ومن العجيب أن يذكر ذلك عن الشيخ مع مكانته في العلوم الشرعية وتبحره بها ولا يكاد يخفى على أحد من المسلمين تحريم عمل التصاوير والتماثيل. والجدير بالذكر أن الشيخ رحمه الله كان يأخذ على النصارى اتخاذهم التصاوير في كنائسهم[٧].

ومما لوحظ على الشيخ رحمه الله قلة بضاعته في علم الحديث، كما أشار الشيخ عبد الفتاح أبو غدة إلى ذلك في ترجمته له[٨]، ويظهر ذلك في مثل قوله عن حديثٍ ما «سألت عنه أهل الحديث فقالوا لي: لم يصح، وكذلك مثل حكمه على بعض الأحاديث ما يكون مخالفاً لما تقتضيه.

مؤلفاتـه

وله مصنفات كثيرة ذكرها الشيخ أبو غدة ضمن ترجمة الشيخ المذكورة[٩] وهي:

---

(٦) التصوير عند العرب ٧٩ و١٠٤.

(٧) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ١٣١ ط دار الكتب العلمية.

(٨) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام ١٣ .

(٩) الإحكام ص ١٦.

١ ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على النصارى واليهود.
٢ ـ الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة.
٣ ـ الإحتمالات المرجوحة.
٤ ـ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام.
✓ ٥ ـ أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية.
٦ ـ الإستبصار فيما يُدرك بالأبصار.
٧ ـ الإستغناء في أحكام الإستثناء.
٨ ـ الأمنية في إدراك النية.
٩ ـ الإنتقاد في الإعتقاد.
١٠ ـ البارز للكفاح في الميدان.
١١ ـ البيان في تعليق الإيمان.
١٢ ـ التعليقات على المنتخب.
١٣ ـ الذخيرة في الفقه المالكي في ست مجلدات كما أشار في كشف الظنون طبع منها جزء واحد.
١٤ ـ الخصائص في قواعد اللغة العربية.
١٥ ـ شرح الأربعين في أصول الدين للرازي.
١٦ ـ شرح التهذيب للبراذعي.
١٧ ـ شرح الجلّاب.
١٨ ـ شرح تنقيح الفصول.
١٩ ـ العقد المنظوم في الخصوص والعموم في الأصول.
٢٠ ـ الفروق. واسمه العلمي: أنوار البروق في أنواع الفروق في القواعد الفقهية.
٢١ ـ مختصر تنقيح الفصول في الأصول.
٢٢ ـ المنجيات والموبقات في الأدعية وما يجوز منها وما يكره وما يحرم.
٢٣ ـ المناظر في الرياضيات.
٢٤ ـ نفائس الأصول في شرح المحصول.
٢٥ ـ اليواقيت في أحكام المواقيت.

وفاتـه:

وتوفي الشيخ أحمد بن إدريس القرافي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة رحمه الله[10].

عملي في الكتاب:

وقد كان عملي في الكتاب يقتضي تخريج النصوص التي نقلها المصنف من التوراة والإنجيل.

هذا ولم يكن التخريج عندي بالأمر السهل لا سيما وأن الشيخ رحمه الله لم يكن يتقيد ـ عند ذكر نص من نصوصهم ـ باللفظ، وإنما كان يذكره بمعناه.

ومما زاد الأمر صعوبة أنه كانت تختلط عليه مواطن هذه النصوص فيشير تارة إلى إنجيل يوحنا ويكون في الحقيقة في إنجيل متى أو لوقا أو مرقس، أو يشير إلى سفر التكوين ويكون في سفر التثنية.

ولم أكتف بذكر موضع النص في السفر الواحد أو الإنجيل الواحد وإنما حرصت دائماً على البحث عن مواضع أخرى للنص الواحد. ومثاله أن يذكر يوحنا كلاماً عن المسيح عليه السلام ويكون هذا الكلام في الأناجيل الثلاثة الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة إلى العهد القديم.

كما أنني رأيت من المناسب أن أذكر بعض التعليقات والنكت ذات الفائدة. هذا وأسأل الله أن يتقبل منا العمل العلمي وأن ينفع به. وأن يرزقنا إخلاص النية فيه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه.

وكتبه: عبد الرحمن دمشقية
الرياض: ٢٨ محرم ١٤٠٨

---

(١٠) كشف الظنون ٢/١١٥٣، هدية العارفين ١/٩٩، التصوير عند العرب ٧٩ و١٠٤، حسن المحاضرة ١/١٢٧، الأعلام للزركلي ٩٤ ـ ٩٥، وانظر ترجمته مفصلة في مقدمة الشيخ أبي غدة لكتاب من كتب الشيخ القرافي «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام» ١١ ـ ١٦.

ادلة الموحدين في الرد على النصرانية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا الله

الحمد لله محكم الصنائع ومظهر البدائع ومميز الفطر والطبائع ومرقيها إلى أعلى المراقي وأسنى المطالع ومودعها أنوار
حكمته المشرقة اللوامع وناصبها الدلائل عن العقائد والأديان والشرائع وموجدها بأنواع من الحقائق والأدلة
الباهرة القواطع أحمده على الإسلام الذي هو ناسخ للملل والشرائع وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مجاهد بها عن المعز وذائع وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث لكافة من خلق
وشاسع صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سجد له ساجد وركع راكع هذا ولما رأيت من دولة السلطان الملك
الكامل الناصر لدين الله أبا المعالي الجامع للمفاخر والمعالي أدام الله نصرته وأعز أسرته وحمى به منار الملك والشريعة
وشكر عن المسلمين والإسلام سيرته وسريرته ونور على منار الشريعة بصره وبصيرته ولا زالت دولته طويلا
دولها جميلا مع الليالي والأيام سيرها وتبيينها مجلوا على الأولياء ما يحلينا على الأعداء جلها قد قام للعلوم
أسواقا نافقة منه تعد الأمور إقرارها وظهرت به بعد الدروس آثارها وجمع بسعادته ما تفرق من شملها
ونوه بأعلامها وصير من جهلها وعظم بإكرامه ما يحمل من أهلها فصار جنابه مراد الرائدين وملجأ
الوافدين والقاصدين وموسم الآمال وكعبة الإقبال يهدى إليه كل أحد على قدره وطاقته وبحسب
من الفضل واستطاعته رخاء النفاق عليه لأمور لا فاضل والفضائل لا لديه أدمغ بتيسير العلماء
وخير الفضلاء أن قصد إليه نفسه مطرح الرجاء وإن استند إليه كان خط الالتجاء لما رأيت الملوك تفتنهم
في الأخذ وما يمرونه تماما إليها والتنافس من كلام منثور ومنظوم كالدرر المرقومة والتحف المكنونة ووجدوا
أصنافا في قبلهم لا سيما من ناثرهم وناظمهم وناقلهم إن نظر كان له نظر مصيب وإن نظم وجد له في كل علم نصيب لعلت
طرف الفكر في ميدان النظر فمن أهدى إليه وأرجو من الله أن يثبتني في الأخذ عليه فعلمت أن أولى ما تعرف
إليه الهمم وتتفاوت فيه القيم وتتنافس فيه الأفاضل ويتميز به المفضول من الفاضل الذب عن حوزة
الدين وحراسة بيضة المسلمين بالبحث في الملل والأديان وإقامة الدليل على وحدانية مالك الديان
بالنظر السليم والفكر القويم المفضي إلى المعارف المنجي من المتالف الداعي إلى الرشاد المنقذ من الضلال والفساد
المفترض على العباد ليعرف الله تعالى حق معرفته وينزه عما يجوز على بريته ليظهر الدين الحنيفي الدائم والإرشاد
موضحا ظهوره على جميع الأديان فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب وتفكرت فيمن هو فيهما من التوحيد ذاهب
فلم أجد سوى مذهب النصارى الغالين الحيارى المتشتتين بخيوط التفكير القائلين بحلول اللاهوت
في الناسوت ووجدتهم مع قلة علمهم وعدم فهمهم وكثرة جهلهم قد طبقوا أكثر الأرض طولها والعرض فقلت
الآن ظفرت بطلبي وحصل لي بحمد الله مطلبي ورأيت أن أصنف لمولانا السلطان أعزه الله تعالى في الرد عليهم
كتابا أتحفه فيه بترتيبه وأتفرد فيه بطريقة عجيبة أجمع فيه مذاهبهم على جليتها وأخاطبهم بعموم من كلام
وأجادلهم بها مجادلة الأقران وأبارزهم على نقضها مبارزة الشجعان وبالاختبار تظهر جلية الأسرار

وبالامتحان

وبالامتحان يكرم الرجل ويهان * وسميت الكتاب دلالة الوحدانية في الرد على النصرانية وقسمته على اربعة اصول
الاصل الاول في حكاية مذهب النصارى على جليته وكيفما استندوا بزعمهم على صحته من المنقول واعتقاد
كل فريق منهم في الاله من طريق المنقول وسبب وضعهم للامانة وحكاية مجامعهم العشرة وكيف كفر بعضهم بعضا
ولعن بعضهم بعضا وكيف ارتكبوا في هذه المجامع الضلالات ووقعوا في حيرة في معرفة خالق الارضين والسموات
وكلما ارادوا ان يخرجوا منها الى الوجود ردتهم قلة معرفتهم الى مهامه الجمود * وفي هذا الاصل سبعة فصول
الاصل الثاني في الرد عليهم وبه ننقض المنقول وفي هذا الاصل حين كشفنا اسرارهم وهتكنا استارهم
وانهم ارتكبوا المستحيل وخالفوا ما جاء في التوراة والانجيل الاصل الثالث في بيان غلط النقلة
للاناجيل وبيان تناقضها الاصل الرابع في ذكر النبي الامي في الانجيل كما اخبر عنه في محكم التنزيل
اما الاصل الاول فينقسم سبعة فصول الفصل الاول في حلول الكلمة بزعمهم في مريم البتول
واعادها ايسوع الفصل الثاني في سبب كون المسيح جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه الفصل
الثالث وحكاية صلب المسيح بزعمهم الفصل الرابع في دليلهم على الثالوث من المنقول وتمثيلهم له بالمعقول
الفصل الخامس في اشارة التوراة الى الصليب والى ضرب الناقوس الفصل السادس في اشارة التوراة
وكتب الانبياء الى مجيء المسيح اما باشارة او بتصريح الفصل السابع في اعتقاد كل فريق منهم في الاله من طريق
المنقول وسبب وضعهم للامانة وذكر مجامعهم العشرة الفصل الاول في حلول الكلمة في مريم البتول واتخاذها
ايسوع زعمت النصارى ان الله سبحانه لما خلق السموات والارض كان قد قدم في الازليات ادم عليه السلام
بعصى ربه عز وجل وان الشيطان يغويه فلما عصاه واكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها عاقبه وذريته
بورود جهنم ومارحم الله تعالى عباده واشفق عليهم التي كانت الى مريم البتول فتجسدت الكلمة في جوفها فخرج منها
التام من اله تام من نور من نور فالواخلص سيدهم ايسوع المسيح العالم من حبال الشياطين التي كانوا بيتود ونبها
الادميين الى جهنم بامر فتنة الشياطين ولمزوا انه واحد من بني ادم فصلب وقتل بغير ذنب وعند ذلك نزل الى الجحيم
فكسر ابوابها واخرج منها اولياء الله والانبياء ثم صعد الى السماء وزعموا انهم يرونه يوم القيامة على تلك الهيئة اعني
قاعدا في ميامن ابيه بين يديه الفصل الثاني في سبب كونه جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه * قالوا انما
سبب كونه جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه ليكون بذلك سنة في القرابين ويكون بحبه لتخليص الاولين والاخرين
من الذنب الذي كانوا به معاقبين اذ كانوا ذنب ادم الذي عصى ربه معذبين لخلصهم بالماء والدم الذين خرجا منه
عندما صلب على الصليب وطعنه يهودي بحربته وفي دمه الى اليوم مع الصليب الذي صلب عليه موجودان في الكنائس
ولاجل ذلك اشارة التوراة في القرابين الذي امرت بها موسى عليه السلام والتقرب بذبح الانعام واراقة الدماء تقربا
الى الله تعالى الفصل الثالث وحكاية صلب المسيح بزعمهم قالوا قال داود عليه السلام في المزمور الواحد
والعشرين الذي يحكي فيه صلب المسيح قالوا قال سيدنا المسيح وهو على الصليب الهي الهي لما اهملتني بعدت عني صغوا بي
بينة من خلاصي الهي ادعوك نهارا فلم تسمع وليلا فلم اسكت وانت القدوس يا مادح اسرائيل عليك توكلوا اباونا
فانجيتهم اليك صرخوا وعليك توكلوا فلم يخزوا وانا دودة وليس انسانا عار البشر ورذالة الشعب وانت
الرب رجاي من ثدي امي عليك القيت من الرحم من بطن امي انت هو الهي لا تتباعد عني فان الشدة قريبة احدقت
بي عجول كثيرة وثيران سمان اكتنفتني وفغروا افواههم علي كالاسد المفترس وحلوا سهام في جوفي مثل
الماء واستوت كل عظامي وصار قلبي كالشمع ذائبا في وسط بطني يبست مثل الخزف قوتي ولصق لساني بحنكي وفي تراب الموت انزلتني
لانه قد احاطت بي كلاب كثيرة وجماعة الاشرار احدقوا بي ثقبوا يدي ورجلي احصوا جميع عظامي وهم ينظرون
ويتفرسون في واقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي اقترعوا بخير
معدل الشعب قولوا الذي اصطنع الرب الفصل الرابع في دليل الثالوث من التوراة والانجيل قالوا انا
التوراة فقال في اول سفر وهو سفر الخليقة خلق الله السموات والارض والابن الكشف عن معنى هذا الابتدا
وما المراد به فنقول انه اراد به الكلمة التي القاها الى مريم البتول اذ بهذه الكلمة خلق الله السموات والارض *
ولولا الكلمة التي تجسدت في جوف مريم لما وجدت من جميع المخلوقات شيء لكن الذي خلق الله في اليوم الاول ستره
والثاني والثالث الى السادس الذي خلق الله فيه ادم وفي الخامس يقول وخلق الله فلما وصل الى خلقة ادم قال

فتزعزع لها من الفزع الاعظم ولجأوا الى الملك الاكبر لحاصروه مدة حتى كادوا يكونون غالبين فعطف المولى عليهم
لما دخلوا في جملة التايبين فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي عليه السلام ان امض الى احاز وقل له لا تخش من الكفرة عباد
الاصنام فانا مسلمهم الى يديك لتعلم اني قادر على تسليط الجبابرة بايدي المستضعفين وقصم رقاب الفراعنة بايدي الاذلة فلما
بلغ شعيا رسالة ربه راى في وجهه كانه لا يصدق قوله ذلك التصديق فقال له اطلب لك اية لتكون اية حتى
اتيك بها واصلك تراها حتى تعلم صدق ما اتيتك به من الرسالة وكان لاحاز جارية كان لها محبا وكان دعا الله
ان يرزقه منها ولدا فكراه علم النبي بالوحي ما اضمره الملك في نفسه فقال له هذه الجارية تلد ابنا وتسميه عمانويل
اي الله يكون معنا وينصرنا على الكفار المحاصرين فلما ابصر الاية الملك جمع عسكره وعلم ان النصر من عند الله بوقته من
يناهضهم وقتل منهم ما لا طاقة لعددهم ولا حاجة لحصرهم وهذا قبل ان يولد المسيح لم يكن لبني اسرايل
ملك في عصره وما ولد المسيح الا واليهود تحت طاعة ملوك الروم وفي يومه ولد المسيح كانا تحت قيصر
الرومي ملك بيت المقدس ومصر والشام واما احتجاجكم بنبوة دانيال النبي عليه السلام بقوله اذا جا
مقدس الاقداس يبطل الطهارة وقلتم ان هذه اشارة الى المسيح فلا يستقيم لكم هذا من اوجه احدها
ان دانيال انما نص على النبي الطاهر وانتم تزعمون ان المسيح اله وابن اله والاله اعظم من النبي وايضا فانه
قال في نبوته اذا جا النبي الطاهر ينقطع المسح بالدهن من ملوك بني اسرايل وكان بعد عيسى الامر والنهي
في بني قريظة والنضير واهل خيبر ولم ينقطع الامر والنهي منهم حتى بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الاخر
انكم تنقضون هذا بقولكم وافترايكم وتقولون ان في الاناجيل الاربعة انما يدخل الفم لا ينجس الانسان ويقولون
ان اناسا احبار اليهود تلاميذ عيسى عليه السلام وهم الحواريون وقالوا له ما بال معلمكم ياكل بغير غسل يديه
فقال لهم عيسى عليه السلام ان زعمكم الذي يدخل الفم لا ينجس فلا يتمشى لكم الاستشهاد بنبوة دانيال وانقضان
دانيال انما عنى بقوله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح اذ هو امر في شريعته التي بعث بها الطهارة
اكثر من جميع الشرايع اذ الطهارة والنظافة غلبت في شريعته وغلب على جميع الشرايع فهو النبي الطاهر بالحقيقة وهو
الذي قيل في امته يوضون اطرافهم للصلاة محجلا فكم يا معشر النصارى فان قسيسكم يزني بالليل ويتغوط ويبول
ويدخل المذبح وكذا بطريككم تتمرغون بالبناء بالنجاسة ويدخل المذبح فاين الطهارة عندكم فنحن والحمد لله كما قال
عيسى عليه السلام في الانجيل كلما ابارقليط بين لكم كل شي تختلفون فيه فهو قد جا الينا محمد اسمه وعلمنا كل شي
وانقذنا من عبادة الاوثان الى عبادة الملك الديان وعلمنا كل شي تختلفون فيه وفرق لنا بين الطاهر والنجس
وبين الحلال والحرام واما الجواب عن احتجاجكم بنبوة شعيا في قوله سوف يولد لنا مولود ويوهب لنا ابن
الذي خطاتم في تاويلكم وانما قال ويبعث الله نبيا اسمه هاديا عجيبا مدبرا ماحيا طاغيا جبارا رئيس الاسلام ويكون
علامته بين كتفيه فنقول لكم هذه الاوصاف كلها انما اجتمعت في النبي محمد صلى الله عليه وسلم والدليل على انها اجتمعت
فيه انه انما سمي ماحيا لانه محا الكفرة من عباد الاصنام واهتدى على يديه اكثر العالم ومدبرا لانه دبر الايمان على الاوثان
وطاعة الرحمن وطاغيا وجبارا لانه كان صلى الله عليه وسلم اجبر الخلق على المشركين والكفار وارحمهم بالمومنين
والموحدين الابرار وهو رئيس السلام وداعي الاسلام على ملة ابراهيم عليه السلام وكانت علامته بين كتفيه
وهو خاتم النبوة وهذا مشهور من امره وهذه الاوصاف كلها ما اجتمعت في احد من الخلق قبل الا في نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقد بشر شعيا به في موضع اخر من نبوته اذ قال هو ما عندكم ترتفع وتخرج نبوته مثل البرق
ويكون اسمه ماد ماد وقد قدمنا ان ماد ماد بحساب الجمل اثنان وتسعون ومحمد ايضا اثنان وتسعون وقد خرجت
نبوته مثل البرق واما انتم يا معشر النصارى فقد ومنتم بسبعكم بعد هذا في اناجيلكم فان اناجيلكم اتفقت على ان
المسيح قال من لطمك في خدك فحول له الوجه الاخر وهذا من التذلل والتغيب الذي علمتم بزعمكم انه ضرب بعصى على
راسه والبصاق في وجهه قدام رؤسا اليهود فهذه كلها بزعمكم اجتمعت في ذليل لا في جبار وسيقوم خروف الله
الذي يحمل خطايا العالم فان جبروت الخروف واعجب من هذا انكم تقولون ان اليهود اخذوه بزعمكم للصلب ولم يرد
عن نفسه وصلب على وجه القهر والغلبة فخرج وامتنع ان يكون جبارا واما وصفه بالتدبير فانتم القايلون

عما

بما جرى عليه من المشاق في السفينة بتزلزلها الذى صلب بعضه بزعمكم اذ قال له خلص نفسك وخلصنا معك فمن لا يمكنه تدبير
نفسه فكيف يدبر غيره فخرج عن ان يكون مدبرا . واما وصفه بانه كاهن فقد ابطلتموه بقولكم انه قتل وصلب ومحي
من ديوان الحياة . واما وصفه بانه رئيس السلام فاطلبوا في انجيل مرقس جوابكم فانه قال فيه لم اجي لالقي السلام في الارض
بل جئت لالقي السيف والحرب فبطلت هذه الاوصاف كلها من مسيحكم وثبتت لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
واما الجواب عن نبوة ارميا عليه السلام في قوله قولوا لبنات صهيون هو ذا ركبا حمارا وخلفه راكب الجمل
وقد قلنا ان صهيون جبل على القدس والجبل لا بنات له فاراد بذكر الجبل بنات تلك البلدة التي فيها الجبل
فنقول انه اراد المدينة اعنى مدينة الرسول وبيانه ان اورشليم بالعبرانية هي مدينة السلام اذ اسمها الحقيقي
هو رشليم وتفسير شليم بروا ابصر والمدينة السلام وما مدينة السلام بالحقيقة غير يثرب اذ هي المدينة التي
خرج السلام منها الى جميع الاسلام والمسلمين وهي المدينة التي تسمى مدينة الرسول وصهيون بالعبرانية بالاسم
الحقيقي صيون بنيل ثبات الها وتفسير صيون الموضع التنزيل الها فكانه قال النبي ارميا عليه السلام قولوا لبنات
الموضع التنزيل الها هو ذا راكب الحمار وراكب الجمل وقد ثبت بالتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له حمار يركبه
في اكثر اوقاته اسمه عفير وكانت له ناقة يركبها اسمها العضبا فاراد ارميا النبي عليه السلام نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم لانه قد ركب الحمار واشتهر به وركب الجمل واشتهر به فكان ارميا النبي قال قولوا لبنات الموضع التنزيل الها وهو
صيون هو ذا نبيك جاي اليك راكب الحمار وراكب الجمل فان قالت النصارى كان المسيح ركب الحمار يوم الشعانين
فنقول فنقول كيف ركب لا له الحمار فان قالوا ان المسيح نبي وليس بالمعاد يتمشى لهم ويكون ارميا عليه السلام
اخبر عنه وعن نبينا محمد صلوات الله عليهما انه ياتي بعده كما قال شعيا النبي في نبوته قيل لي قم ناظرا فانظر
ماذا ترى لتخبر به قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والاخر على جمل يقول احدهما لصاحبه سقطت
بابل واصنامها اخبارا عن المسيح وعن نبينا محمد صلوات الله عليهما واما انتم يا معشر النصارى فمع تمرغكم
انتسكم بالاستدلال بتقليدكم للحمير الجهال في قولهم ان المسيح اله او اله يتقدس ويتعالى عن ركوب الحمار فلو
انصفتم وعبدتم الواحد القهار وتركتم عبادة صاحب الحمار وقلتم ان المسيح من جملة الانبياء وان ارميا اخبر عن
نبيين باتيان احدهما خلف الاخر لكان هذا كلاما صحيحا واما الجواب عن احتجاجكم بالمزامير التي فسرها
لكم قوسكم الراهب سالتليوس من اللغة اليونانية الى اللغة العربية وقال ان عدة المزامير خمسون ومائة
وليست على التاليف الذي انزله الله على داود عليه السلام ولا من انشائه فانه دس فيها تخليطا عظيما وفسرها تفسيرا سقيما
وقالت اليهود الزبور خمسة اسفار منها التوراة الذى يختص بها ومائتان وسبعون مزمورا فالسفر
الاول من المزامير تمام الاربعين والسفر الثاني من الحادي والاربعين الى اخر الحادي والسبعين
والسفر الثالث من اول الثاني والسبعين الى انقضاء ثمانية وثمانين والسفر الرابع من اول
التاسع والثمانين الى اخر الخمسة بعد المائة والسفر السادس من اول الستة ومائة الى اخر المزامير فهذه
جملة المزامير غير ان السبعين من اليهود دسوا لكم فيها ما سبق فمن ذلك انهم لعنوا وحرموا في المزمور
الثالث عشر كل من فتح فمه بالقرب الا انهم كانوا يقولون في ذلك الزمان ان هذا النصارى قرب الا له في القدس
فنزع السبعون من الروم فخافوا عليهم فقالوا ملعون كل من فتح فمه بالتقرب دون ان يهود احفظ
عليهم لانهم مصوك ويعنون بذلك الروم فهذا من جملة التلبيس الذى لبسته عليكم السبعون من
اليهود فنرجع الى احتجاجكم بالمزامير ونجيب عنها بعون الله وقوته فنقول اما الجواب عن المزمور
الاول الذى قال فيه طوبى للرجل الذى لم يسلك في طريق الخاطئين ولم يجلس مع الاثمين وفي مجالس
الجهلة لم يجلس ولم يكن له هوى بل كان هواه شريعة الله وفي شريعته يهدى النهار والليل ويكون ذلك
الرجل كشجرة مغروسة في سواقي المياه ليعطي ثمرها في كل اوان ولا يسقط ورقها عاجلا وكلما يصنعه
يكون صالحا ليس كذلك الخاطئين ليس كذلك لكنهم مثل الشوك الذى تذهب به الرياح فكذلك لا يقوم
في يوم الحكم الصالح مثل الطالح ولا الخاطئ مثل الزكي فهذا نص المزمور الاول كما هو فنقول وبالله كلها

أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية

تحقيق

عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر وأعن يا الله

الحمد لله محكم الصنائع ومحكم البادئع ومميز القطر والطبائع ومرقيها إلى أعلى المراقي وأسنى المطالع. ومودعها أنوار حكمته المشرقة اللوامع، وناصبها للذب عن العقائد والأديان والشرائع، ومؤيدها بالبراهين الظاهرة والأدلة الباهرة القواطع.

أحمده على الإسلام الذي هو ناسخ للملل ورافع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أجاهد بها عن الحق وأدافع، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث لكل دان من الخلق وشاسع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سجد له ساجد وركع راكع.

هذا ولما رأيت مولانا السلطان الملك الكامل الناصر لدين الله بالمعالي، الجامع للمفاخر والمعالي، أدام الله نصرته وأعز أسرته وحمى به منار الملك وأسرّته، وشكر عن المسلمين والإسلام سيرته وسريرته، ونوّر في أعلى منار بالشريعة بصره وبصيرته، ولا زالت دولته طويلاً **ديلها جميلاً** مع الليالي والأيام سيرها، وسبيلها مجلوباً على الأولياء خيرها، **مجلباً** على الأعداء **حلها**، قد أقام للعلوم أسواقاً **فأفاضت** به تفد الأفول أقمارها، وظهرت به بعد الدروس آثارها، وجمع **بسعادته** ما تفرق من شملها. وقوي بإنعامه ما اوهن من **حبلها**، وعظم بإكرامه ما انحمل من أهلها، **فصار** جنابه مراد الرائدين، وملجأ الوافدين

والقاصدين وموسم الآمال وكعبة الإقبال. يهدي إليه كل أحد على قدره وطاقته ومكنته من الفضل واستطاعته رجاء النفاق عليه، إذ لا موئل للأفاضل والفضائل إلا إليه، إذ هو بصير العلماء، وخبير الفضلاء، إن قُصِدَ إليه فَنِعْم مطرح الرجاء، وإن اسْتُنِد إليه كان محط الالتجاء.

لما رأى المملوك تفننهم في الإهداء، وما يعرضونه بمقام البهاء والسناء من كلام منثور ومنظوم، كالوشي المرقوم، والسحاب المركوم وهُو ذُو إصغاءٍ إلى قليلهم لا يملّ من ناشرهم وناظمهم وناقلهم، إن نظر كان له نظر مصيب، وإن تكلم وجد له في كل علم نسيب، أجلتُ طرف الفكر ميدان النظر أيّ فن أقصد إليه. وأرجو من الله أن يثيبني في الآخرة عليه. فظهر لي أن أولى ما تصرف إليه الهمم، وتتفاوت فيه القيم، وتتنافس فيه الأفاضل، ويتميز به المفضول من الفاضل الذب عن حوزة الدين، وحراسة بيضة المسلمين بالبحث في الملل والأديان وإقامة الدليل على وحدانية الملك الديان بالنظر السليم والفكر القويم المفضي إلى المعارف المنجي من المتالف، الداعي إلى الرشاد، المنقذ من الضلال، والفساد المفترض على العباد، ليُعرف الله تعالى حق معرفته، ويُنزَّه عما يجوز على بريته، مظهراً للدين الحنيفي الدعائم والأركان، موضحاً ظهوره على جميع الأديان.

فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى، المتشبثين بخيوط العنكبوت، القائلين بحلول اللاهوت في الناسوت.

ووجدتهم مع قلة علمهم وعدم فهمهم وكثرة جهلهم قد طبقوا أكثر الأرض بطولها والعرض، فقلت: الآن ظفرت بطلبي، وحصل لي بحمد الله مطلبي، فرأيت أن أصنف لمولانا السلطان أعزه الله تعالى في الرد عليهم كتاباً أتحفه فيه بغريبه، وأنفرد فيه بطريقة عجيبة، أجمع فيه مذاهبهم على جليّتها، وأخاطبهم بفصوص نصوصهم، وأجادلهم بها مجادلة الأقران، وأبارزهم على نقضها مبارزة الشجعان، وبالاختبار تظهر حيلة الأسرار، وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان.

وسميت الكتاب: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، وقسمته على أربعة أصول:

الأصل الأول: حكاية مذهب النصارى على جليته، وكيف استدلوا - بزعمهم - على صحته من المنقول، واعتقاد كل فريق منهم في الإله من طريق المعقول وسبب وضعهم للأمانة[11]، وحكاية مجامعهم العشرة وكيف كفّر بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً، وكيف ارتكبوا في هذه المجامع الضلالات، ووقعوا في حيرة في معرفة خالق الأرضين والسموات، وكلما أرادوا أن يخرجوا بمجمع منها إلى الوجود ردتهم قلة معرفتهم إلى نهايات الجمود.

وفي هذا الأصل سبعة فصول

الأصل الثاني: في الرد عليهم وفيه نقض الفصول. وفي هذا الأصل تبيين كشف أسرارهم وهتك أسرارهم، وأنهم ارتكبوا المستحيل، وخالفوا ما جاء في التوراة والانجيل.

الأصل الثالث: في بيان غلط النقلة للأناجيل وبيان تنقاضها[12].

الأصل الرابع: في ذكر النبي الأمي في الانجيل كما أخبر عنه في محكم التنزيل.

---

(١١) أي ما يصدر عن المجمع من مبادىء وقرارات.
(١٢) كذا في الأصل.

أما الأصل الأول فيتضمن سبعة فصول:

الفصل الأول: في حلول الكلمة بزعمهم في مريم البتول واتحادها مع يسوع.

الفصل الثاني: في سبب كون المسيح جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه.

الفصل الثالث: في حكاية صلب المسيح بزعمهم.

الفصل الرابع: في دليلهم على الثالوث من المنقول وتمثيلهم له بالمعقول.

الفصل الخامس: في إشارة التوراة إلى الصليب وإلى ضرب الناقوس.

الفصل السادس: في إشارة التوراة وكتب الأنبياء إلى مجيء المسيح إما بإشارة أو بتصريح.

الفصل السابع: في اعتقاد كل فريق منهم في الإله من طريق المعقول وسبب وضعهم للأمانة، وذكر مجامعهم العشرة.

الفصل الأول:

في حلول الكلمة واتحادها بـ «يسوع»

زعمت النصارى أن الله سبحانه لما خلق السموات والأرض كان قد قدّر في الأزل أن آدم عليه السلام يعصي ربه عز وجل وأن الشيطان يغويه، فلما عصاه وأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها عاقبه وذريته بورود جهنم ولما رحم الله تعالى عباده وأشفق عليهم ألقى كلمته إلى مريم البتول فتجسدت الكلمة في جوفها فخرج منها إله تام من إله تام، نور من نور. قالوا: فخلص سيدهم يسوع المسيح العالم من حبال الشياطين التي كانوا يقودون فيها الآدميين إلى الجحيم. فلما عرفته الشياطين وظنوا أنه واحد من بني آدم، فصُلب وقتل بغير ذنب وعند ذلك تردى[١٣] إلى الجحيم، فكسر أبوابها وأخرج منها أولياء الله وأنبياءه[١٤] ثم صعد إلى السماء.

وزعموا أنهم يرونه يوم القيامة على تلك الهيئة أعني قاعداً عن يمين أبيه يدين الأمم.

---

(١٣) في الأصل: تردّ.

(١٤) يبدو أنهم يرون أن غضب الله على ذرية آدم لم يستثن نبياً ولا مطيعاً ولم يفرق الله بين أوليائه وأعدائه وحتى أنبيائه الذين أرسلهم لهداية البشر كانوا ينتظرون خلاص المسيح لهم ليخرجهم من جهنم!!

الفصل الثاني

في سبب كونه جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه

قالوا أما سبب كونه جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه ليكون ذلك سنة في القرابين، ويكون مجيئه لتنقذ[١٥] الأولياء والصالحين من الذنب الذي كانوا به معاقبين، إذ كانوا بذنب آدم الذي عصى ربه معذبين، فخلصهم بالماء والدم اللذين[١٦] خرجا منه عندما صلب على الصليب وطعنه يودس بالحربة، والحربة إلى اليوم مع الصليب الذي صلب عليه موجودان في الكنائس. ولأجل ذلك إشارة التوراة في القرابين الذي أمر الله بها لموسى عليه السلام في التثنية من ذبح الأنعام وإراقة الدماء تقرباً إلى الله تعالى[١٧].

الفصل الثالث

في حكاية صلب المسيح بزعمهم

قالوا: قال داود عليه السلام في المزمور الواحد والعشرين[١٨] ـ الذي حكى فيه صلب المسيح ـ قالوا: قال سيدنا المسيح وهو على الصليب: إلٓهي إلٓهي لماذا أهملتني كلمات هفوات بعيدة عن خلاصي، إلٓهي دعوت نهاراً فلم تسمع وليلاً فلم أسكت، هللت في القدس: يا مادح إسرائيل: عليك توكلوا آباؤنا فأنجيتهم. إليك هجوا وخلصوا، عليك توكلوا فلم يُخزوا فأما أنا فدودة وليس إنساناً عار البشر وزالة الشعب، وأنت يا رب رجائي. من ثدي أمي عليك أُلقيتُ من الرحم من بطن أمي أنت هو إلٓهي لا تبعد عني فإن الشدة قريبة، أحدقتْ

(١٥) كذا في الأصل.

(١٦) في الأصل: الذين.

(١٧) أنظر التثنية: ٢: ١١ ـ ٢٨.

(١٨) الصحيح أنه المزمور الثاني والعشرون، والمؤلف قد ذكر النص بمعناه ولم يتقيد بلفظه والنص كالآتي: «إلهي إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي عن كلام زفيري، إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب في الليل، أدعو فلا هدو لي، وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل، عليك اتكل آباؤنا، إتكلوا فنجيتهم..» ونقل النص بتمامه يطول ههنا.

بي عجولُ كثيرة وثيران سمان إكتنفتني، وجعلوا المرارة طعامي، وفي عطشي أسقوني خلاً[١٩]، ثقبوا يدي ورجلي، أحصوا جميع عظامي، نج نفسي من الحوبة، وخلصني من فم الأسد لأخبر باسمك في إخوتي وفي وسط الجماعة أسبحك، يخبر بالرب الجليل، ويبشرون بعدله الشعب المولود الذي اصطنع الرب.

شبهات التثليث

الفصل الرابع

في دليل الثالوت من التوراة والإنجيل

قالوا : أما التوراة فقال في أول سفر وهو الخليفة[٢٠] خلق الله السموات والأرض ولا بد من الكشف عن معنى هذا الابتداء وما المراد به فنقول أنه أراد به الكلمة التي ألقاها إلى مريم البتول أو بهذه الكلمة خلق الله السموات والأرض . ولولا الكلمة التي تجسدت في جوف مريم لما وجد شيء من جميع المخلوقات ، ثم ذكر بعد ذلك الذي خلق الله في اليوم الأول والثاني والثالث إلى السادس الذي خلق الله فيه آدم وفي الجميع يقول « وخلق الله » فلما وصل إلى خلقة آدم قال سبحانه « نصنع آدم بصورتنا كشبهنا »[٢١] . فذكره سبحانه بالتشبيه والجمع ، وهذا يدل على التثليث إذ أقل الجمع ثلاثة كذلك قلنا أنه أراد بذلك الأب والأبن وروح القدس إله واحد وأراد بقوله « بشبهنا » السيد المسيح فشبهه بنفسه لأجل اللاهوت ، وشبهه بآدم لأجل الناسوت فهو إلّه تام من إلّه تام ، وإنسان تام من إنسان تام .

وقال أيضاً في التوراة « إن الملائكة تراءت لإبراهيم في صورة ثلاثة »[٢٢] نفر ، فقام إبراهيم فسجد للواحد وخاطب الثلاثة وجاءهم بعجل حنيذ

(١٩) هاتان العبارتان غير موجودتين في الإصحاح المشار إليه.
(٢٠) أي سفر التكوين.
(٢١) في التكوين ١ : ٢٦ «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا».
(٢٢) في الأصل: ثلاث.

وبشروه بإسحاق[23] فلما سجد للواحد وخاطب الثلاث تيقنا التثليث هذا بما جاء في التوراة من الدليل على الثالوت .

وأما الإنجيل فقد قال المسيح فيه للتلاميذ « أدعو الناس باسم الأب والإبن وروح القدس »[24] هذا دليل المنقول . وأما مثاله من المعقول فنقول : ما المانع أن يكون هيولاً[25] واحداً : ثلاثة أقانيم كما تكون ثلاثة فروع لأصل واحد كما نقول الله الرحمن الرحيم هو واحد وله ثلاث صفات ؟

وكذلك الإصبع يكون فيه ثلاث عقد وهو إصبع واحد ، والحديد أيضاً إذا أحمي في النار تجتمع فيه النار والشرار والحديد وهو شيء واحد إذا برد .

والشمس تكون في السماء ، وحرارتها وانبساطها في الأرض والشعاع فيما بينهما وهي مع ذلك شيء واحد .

فكذلك نقول : أب وابن وروح القدس إله واحد . وقد أجمعنا على أنه قادر . وإذا كان موصوفاً بالقدرة على كل شيء فما المانع أن يكون ذلك من بعض مقدوراته فجعل الثلاثة أقانيم من الهيولا الواحد كما تقدم ، فيكون الأب والابن وروح القدس إله واحد[26] ولا يجوز لأحد أن ينسبه إلى العجز فإنه من صفات العبيد . وقد قام الدليل على أنه ذو القدرة فعال لما يريد .

الصليب والناقوس:

الفصل الخامس: في إشارة التوراة إلى الصليب وإلى ضرب الناقوس.

أما إشارة التوراة إلى الصليب فإن في التوراة أنه لما كان بنو إسرائيل في التيه

---

(٢٣) أنظر سفر التكوين ١٨ : ١ ـ ١٥ .

(٢٤) النص بتمامه عند متّى «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» ٢٨ : ١٩ .

(٢٥) الهيولي: كلمة يونانية معناها الأصل والمادة.

(٢٦) كذا في الأصل والصحيح أنهما منصوبتان.

نزلوا في موضع فيه حيات فكان كل من لسعته حية من تلك الحيات مات لساعته. فشكوا ذلك لموسى عليه السلام فأمر بعمل حية نحاس، وجعلها على خشبة في وسط معسكرهم، وأمرهم أن يكونوا كل من لسعته حية من تلك الحيات يلتفت إلى الحية النحاس فلا تؤلمه تلك اللسعة(٢٧).

فقلنا ذلك إشارة إلى صليب المسيح وما جرى من حاله. وأن الحيات هي الشياطين التي تلسع الإنسان لارتكابه الذنوب، فيموت الموتة الدائمة فإذا التفت إلى صلب المسيح وأيقن بذلك أنه صلب لغفران الذنوب لا يموت تلك الموتة التي تموتها أهل الحيات المنكرون لفوائد الالتفات بل يموت موت الشهداء ويحي حياة السعداء.

قالوا: فهذا اعتقادنا الصحيح في السيد يسوع المسيح.

وأما إشارة التوراة إلى ضرب الناقوس فقد ذكر في التوراة أن نوحاً عليه السلام لما دخل السفينة أمره الله تعالى بإدخاله في السفينة من كل زوج من الحيوان اثنين فقال إلهي وكيف أجمع الحيوان؟ فأمره الله تعالى أن يدق الجرس فتجتمع إليه الحيوان ففعل ذلك فاجتمعت إليه. ففعلنا ذلك لاتباع سنة نوح عليه السلام.

المسيح في التوراة:

الفصل السادس: في إشارة التوراة وكتب الأنبياء إلى مجيء المسيح إما بإشارة أو بتصريح. أما ما جاء في التوراة من ذكر مجيئه فإنه قال فيها لموسى: «سوف يقيم لكم ربكم نبياً من أخيك فاسمعوا منه كما تسمعون مني»(٢٨). وهذه إشارة ترمز لمجيء المسيح.

وقال في التوراة أيضاً: «جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من

(٢٧) أنظر سفر العدد ٢١: ٧ ـ ٩.
(٢٨) التثنية ١٨: ١٥.

جبال فاران»[29] فهذه أيضاً إشارة، وترمز لمجيء المسيح، إذ الساعير جبل على الناصرة. وبالناصرة كانت تربية المسيح.

وأما ما أشارت به النبوات إلى مجيئه فمن ذلك قول شعيا النبي عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام. فأما شعيا[30] فقال في نبوته: «هوذا العذرا تحبل وتلد ابناً ويسمى اسمه عما نويل»[31] ولا نعلم على وجه الأرض عذرا ولدت من غير نكاح غير مريم البتول، فإنها ولدت المسيح الذي اسمه عما نويل، وتفسيره بالعبرانية الله.

وكذلك قال دانيال النبي عليه السلام في نبوته «إذا جاء مقدس الأقداس يعني مطهر الأطهار ينقطع المسح بالدهن من ملوك بني إسرائيل ولا يرجع يقوم لهم نبي ولا ملك»[32] وهذا لم يظهر إلا عند مجيء المسيح المطهر للطهارات، فإنه إله طاهر من إله طاهر.

وكذلك قال أشعيا النبي عليه السلام في نبوته لبني إسرائيل: «سيولد لنا مولود ويوهب لنا ابن ويسمى اسمه عجيباً مدبراً جباراً طائعاً حاحيا هاديا رئيسا سلاما، تكون علامته بين كتفيه»[33]. قالوا: فهذه الأوصاف كلها من يستحقها غير المسيح.

وكذلك أرميا النبي عليه السلام في نبوته «قولوا لبنات صهيون هوذا ملك يأتي إليك مثل المسكين راكباً على حمار وعلى جحش إبن إتان»[34].

---

(٢٩) التثنية ٣٣: ١ «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران».
(٣٠) درج المؤلف على حذف الهمزة من (أشعيا).
(٣١) أشعياء: ٧: ١٤.
(٣٢) لم أجد هذه الفقرة في سفر دانيال وإنما وجدت ما يشبهها أنظر ٩: ٢٤ ـ ٢٦ مع قناعتي أن وجه الشبه بعيد.
(٣٣) في أشعياء ٩: ٦ «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى إبنا وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبا أبدياً رئيس السلام». ولا يوجد في النص الأوصاف التي ذكر المصنف وهي «مدبراً جباراً، طائفاً هادياً ماحياً».
(٣٤) لعل الصحيح أنه زكريا وليس إرميا فقد جاء في سفر زكريا ٩: ٩ «إبتهجي جداً يا ابنة صهيون، =

ونحن نعلم أنه لم يأت على هذه الصفحة إلى أورشليم إلا المسيح فإنه جاء يوم الثمانين على باب الرحمة.

قالوا: وكذلك هو مسطور عندنا في الأناجيل.

وأما المزامير فإنها أشارت إلى مجيئه أيضاً إذ قال داود عليه السلام مهنئاً في المزمور الاول: «مغبوط الرجل الذي لم يسلك ايتمار الكافرين، ولا وقف في طريق الآثمين، ولا جلس على كرسي المفسدين ولكن هواه في ناموس الرب وفي شريعته يهذي نهاراً وليلاً»[٣٥].

وقال أيضاً داود عليه السلام في المزموز الحادي والسبعين[٣٦] بدأ في أوله وقال: «اللهم امنح ملكك وعد لك لنبي الملك ليدين شعبك بالعدل ومساكينك بالقسط يحكم المساكين الشعب، ويُخلص بين الفقراء ليأخذن الجبال سلامة الشعب والآكام تمتلىء عدلاً، ويذل الباغي، ويدوم مع الشمس وقِبَلَ القمر إلى حقب الاحقاب يشرق العدل في أيامه وكثرة السلامة إلى أن يضمحل القمر ويتسلط من البحر إلى البحر ومن الأنهار إلى تخوم الأرض، تخرّ بين يديه الحبشة. وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والخزاير يقربون الهدايا، ملوك العرب وسبأ يقدمون له القرابين وتسجد له جميع ملوك الارض، والأمم تتعبد له لأنه يخلص المسكين والضعيف، ويخلص أنفس الفقراء، ويفك نفوسهم من الأسر والظلم، إسمه يكون مكرماً قدامهم ويعيش ويعطي من ذهب العرب ويصلون من أجله كل وقت النهار أجمع، يباركونه، يكون سيداً في الأرض، من طرف الجبال يتوقع ثمرته أفضل من اللبنان ويزهرون في المدينة كعشب الأرض، الأمم جميعاً تغبطه، مبارك الرب إله اسرائيل، صانع العجائب وحده، واسم مجده مبارك إلى الأبد وإلى الأبد، وتمتلىء الأرض كلها من تسبيحه آمين آمين». قالوا:

= اهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان». وانظر يوحنا ١٢: ١٥.

(٣٥) في المزامير ١: ١ ـ ٢ «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة، لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرّته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً».

(٣٦) الصحيح أنه في المزمور الثاني والسبعين والنقل عنه ليس مقيداً باللفظ كما نبهت على ذلك فيما سبق.

فهذه الأوصاف كلها تكملت في المسيح عليه السلام.

اختلافهم في طبيعة المسيح:

الفصل السابع: في اعتقاد كل فريق منهم في الإله من طريق المعقول. وسبب وضعهم للأمانة وذكر مجامعهم العشرة: إعلم أن أجناس فرق النصرانية أربع وهم اليعقوبية[٣٧] والنسطورية[٣٨] والملكية[٣٩] والآريوسية[٤٠].

فأما اليعقوبية والنسطورية والملكية، فأجمعوا أن القديم ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ ثلاثة أقانيم: جوهر واحد وأب وإبن وروح. فالأب علة الإبن والروح، وأن الإبن ليس بمولود كما تولد الأبناء بل هو أزلي بمعنى إبن، وكذلك الروح أزلي بمعنى روحاً.

فالابن علم الباري تعالى، والروح حياته. فهو حي عالم. وقد يسمون العلم أيضاً حكمة. وأجمعوا على أن الابن من هذه الثلاثة: اتحد بعيسى وهو إنسان تام حي بالحق ميت، فلما صاروا إلى معنى الاتحاد اختلفوا: فزعم يعقوب

---

(٣٧) وهم منسوبون إلى يعقوب البراذعي وكان راهباً بالقسطنطينية، ومحصل اعتقادهم أن الله هو المسيح نفسه وأنه كان قديماً فصار محدثاً ثم مات ثلاثة أيام وبقي الكون بلا مدبر ثم أفاق بعد موته وعاد قديماً وأن روح الله اختلط ببدن المسيح اختلاط الماء باللبن. (أنظر الفصل في الملل والنحل ١/٤٩، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ٨٤).

(٣٨) منسوبون الى نسطورس الحكيم ومحصل اعتقادهم أن الله لم يلد إنساناً وإنما ولد إلهاً إبنا وهو يسوع، وانكروا ولادة مريم له من حيث كونه إلهاً، وهذا ما قد خالفوا به فرقة الملكانية، وما عداه فمتفق بينهم. وهذه الفرقة ظهرت في زمن المأمون. وقد شبه الشهرستاني مذهبهم في الأقانيم بأحوال أبي هشام (انظر الفصل في الملل والنحل ٢/٦٤ ـ ٦٦).

(٣٩) وهم أصحاب (ملكا) الذي ظهر بالروم واستولى عليها ويرون أن المسيح كلياً لا جزئياً إلهاً أزلياً وأن أمه قد ولدت إلهاً أزلياً. تعالى الله عن ذلك (الفصل ٢/٦٢ و٦٤) وكذلك انظر كلام ابن حزم عنهم (١/٤٨).

(٤٠) وقد كان قسيساً بالإسكندرية وقد برز كمقاوم لفكرة التثليث وتأليه المسيح وخاصة في مجمع نيفيه حيث كان يرد على خصومه آنذاك بالبراهين والحجج لإثبات بشرية المسيح. بيد أن المصنف ينسب له رأياً شاذاً وهو أنه كان يعتقد أن المسيح قد وُهب كلمة التكوين وخلق بها السموات والأرض وما بينهما، مستدلاً على ذلك بما جاء في الإنجيل أن المسيح قال «وهب لي سلطاناً على السموات والارض» وهذا القول لم أجده عند غير المصنف.

البراذعي ومن قال بقوله أنه اتحد بعيسى جوهر واحد أقنوم واحد لا يقع فيه تفصيل، وأطلق القول بأنه مات وولد وصلب ولم يميز ناسوتاً من لاهوت.

وقال نسطور ومن قال بقوله: الأزلي يستحيل أن يصير زمانياً، والزمني يستحيل أن يصير أزلياًبجهة من الجهات جوهراً كان أو أقنوماً، بل المسيح معنيان: أحدهما أزلي والآخر زمني وهو عيسى. فالابن متحد بالمشيئة والارادة. والفعل منهما واحد يظهر من جسم عيسى. وقسّم الكلام على المسيح قسمين:

أحدهما ما يليق بالباري، والآخر ما يليق بالإنسان. فقال: ما كان من قتل وصلب ودفن فإنه قد كان ذلك للمسيح من جهة ناسوتيته. وما كان من إحياء الموتى والإخبار بالغيوب فذلك من قبل لاهوتيته.

وقالت الملكية إن عيسى قد أجمعنا على أنه ابن وليس يكون الإجماع مجازاً دون أن يكون حقيقة. وليس يجوز ما قاله يعقوب البراذعي من كون جوهر الأزلي محدثاً، وكون جوهر المحدث أزلياً. ولا ما قاله نسطورس من تفصيله المسيح وتصييره إياه جوهرين متباينين وأقنومين مختلفين، لأن ذلك ينفي عنه أن يكون ابناً لله. وقد وافقت الجماعة على أنه ابن حقيقة. وقد فسد في المعقول كون جوهر الأزلي محدثاً، فقد صح اتحاد الابن الأزلي بعيسى من جهة الأقنومية ليصح أنه هو من هذه الجهة، وفسد اتحاده به من جهة الجوهرية، فصار المسيح جوهرين أقنوماً واحداً غير منفصل في الأقنومية فأطلقت من القول عليه ما أطلق يعقوب، وجعلته ميتاً ومدفوناً ومصلوباً(٤١).

---

(٤١) والحال كما ترى أن المنطق قد وجد لنفسه مدخلاً عند علماء النصارى وبطاركتهم وقسيسيهم ودخل في كلامهم مصطلحات أهل المنطق كالحادث والقديم والجواهر والأعراض وامتزجت العقيدة الصافية التي جاء بها المسيح إلى خليط من مبادىء الرواقية والهيلينية و الافلاطونية الجدلية، وقد دعا هذا أحد كبار فلاسفة المسيحية «تريليان» أن يعلن «اننا بريئون من الذين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية بعد المسيح والإنجيل لسنا بحاجة إلى شيء» (الله واحد أم ثالوث ١٤٠) ويبدو أن حلول آراء الفلاسفة في الديانة المسيحية وتجسدها بها كان له سبب غفل عنه الكثيرون، وذلك أن اليهود منذ عهد المسيح وبعده، برزوا في دراسة الفلسفة وبرعوا فيها، ولا ننسى Philon اليهودي وبولس الذي دخل في النصرانية وأدخل إليها كثيراً من الافكار الهلينية والغنوص.

=

فصار مدار قول هؤلاء الثلاث فرق ـ أعني اليعقوبية والنسطورية والملكية أن يعقوب يقول أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد. ونسطورس يقول هو جوهران أقنومان. والملكية يقولون جوهران أقنوم واحد.

وأما أريوس ومن قال بقوله فادعى أن الذي قالته هؤلاء الفرق مستحيل في العقول وقال إن لفظ التوراة والانجيل لا يدلان على التثليث وشق عصاهم ودعا إلى خلافهم وقال إن الذي توهموه في الإنجيل أنه يدل على التثليث ليس بصحيح وهو أن يدعو الناس باسم الله وباسم المسيح وباسم الملك الذي أيده به وهو روح القدس، وليس في دعاء الناس بهذه الأسماء إيجاب أن تحتها ثلاثة أقانيم جوهر واحد.

وقال ان بنوة المسيح إنما هي كبنّوة إسرائيل كما قال في التوراة لإسرائيل أنت ابني وبكري وأن الباري تعالى شرفه وكرمه بطاعته وسماه ابنا على التبني لا على الولادة. وكان الأب ولم يكن الإبن، ثم إنه أحدث الإبن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم إنه فوّض الأمر إلى ذلك الإبن المسمى «كلمة»، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال في الإنجيل «وهب لي سلطاناً على السموات والأرض »[42] «فكان هو الخالق لهما بما أعطى من ذلك. فلما خالف الفرق الثلاث وقال هذه المقالة منعه بطريق الإسكندرية من دخول الكنيسة ولعنه، فخرج آريوس إلى قسطنطين الملك مستعدياً عليه ومعه أسقفان، فشكوا الأمستيدريوس بطريقَ الإسكندريـة إلى الملك وطلب آريوس مناظرته بين يدي الملك فأحضره الملك وقال لآريوس: إشرح مقالتك. فقال آريوس: أقول إن الأب كان ولم يكن الإبن، ثم إنه أحدث الإبن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوضّ الأمر إلى ذلك الإبن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات

= إذن نستطيع أن نقول أن اليهود لم تتوقف جريمتهم على محاولة قتل المسيح أو صلبه ـ بزعم النصارى ـ وإنما كانوا يعملون على طي أي أثر من آثار تعاليمه وإفساد كل ما جاء به. وهذه جريمة ثانية لم يتفطن إليها النصارى ولم يلاحظوها.

ولعلنا نعتبر نحن المسلمون من مادة التفلسف والمنطق ونقطع بأنها لا تزيد في الايمان ولا تنافح عن دين الاسلام وإنما هي مرض كاد يقتل هذه الأمة يوم المأمون وبعده لولا رحمة الله.

(٤٢) هذا شبيه بقول بعض المتصوفة أن الولي الفلاني أعطاه الله التصرف الكامل في الأكوان.

والأرض» فكان هو الخالق لهما بما أُعطي من ذلك لأن تلك الكلمة من مريم العذراء ومن روح القدس صار مسيحاً واحداً، فالمسيح الأول معنيان: كلمة وجسد إلا أنهما جميعاً مخلوقاً.

فأجاب الاقسيدريوس بطريق الإسكندرية فقال له: أخبرنا بما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ فقال آريوس: بل عبادة من خلقنا.

فقال له الاقسيدريوس: فعبادة الإبن الذي خلقنا وهو مخلوق أوجب من عبادة الإبن الذي ليس بمخلوق ويلزم على ما تقول أن تصير عبادة الإب الخالق كفراً وعبادة الإبن المخلوق إيماناً.

فاستحسن الملك، وكل من حضر مقاله الاقسيدريوس، وأمره أن يلعن آريوس وكل من يقول مقالته. فلما ظهر أقسيدريوس وبشع عند الملك مقاله آريوس قال الأقسيدريوس للملك: أحضر البطارقة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع قضية ونلعن أريوس ونشرح دين النصرانية ونوضحه للناس. فبعث الملك من يحشد البطارقة والأساقفة من سائر الآفاق.

مجمع نيقية

فاجتمع في المدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً وكانوا مختلفين في الآراء، متباينين في أديانهم. فلما سمع الملك مقالاتهم عجب من أخلاقهم وأخلى لهم داراً وأمرهم أن يتناظروا ويبصروا مع من منهم الدين الصحيح فيتبعه الملك. فاتفق منهم ثلاث مائة وثلاث وعشرون أسقفاً على رأي واحد، وناظروا بقية الأساقفة والبطارقة فظهروا عليهم فصنع الملك للثلاث مائة وثلاثة وعشرين أسقفاً مجلساً خاصاً وجلس في وسطه، وأخذ خاتمة وسيفه وقصبته فدفعهم إليهم وقال لهم: قد سلطتكم على المملكة فاصنعوا ما ينبغي لكم مما فيه قوام الدين(٤٣)، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه. ووضعوا الأمانة التي هي على التحقيق حياته وهي:

«نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى.

---

(٤٣) يلاحظ أمر مهم وهو أن البطاركة والأساقفة كانوا دائماً يقحمون الملوك في قضاياهم ومسائلهم ولذلك تجد أكثر هذه المجامع قد انعقد بمشاركة الملوك أو بإيعاز منهم كما هو الحال هنا. والملوك لا ينظرون إلا من خلال مصلحة مملكتهم وما يثبت دعائم سلطتهم ولم يكن ليهمهم البحث عن تعاليم المسيح الصحيحة. ولعل هذا ما حدا بالنصرانية إلى التطعم بمبادىء وسموم الفلسفة لا سيما في عهد قسطنطين الذي كاد الاضطراب الواقع بين النصارى والفلاسفة يقضي على ملكه ويتهدد عرشه بالزوال فعقد مجمعاً كانت الغلبة فيه للمتفلسفة من النصارى الذين خلطوا بين الفلسفة والنصرانية على الذين كانوا يدعون إلى بشرية المسيح وتوحيد الله تعالى.

وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه الذي بيده أيقنت العوالم وخلق كل شيء . الذي من أجلنا يا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من روح القدس وصار إنساناً وحُبل به ثم وُلد من مريم البتول وأؤلم واتجع وصُلب وقتل ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية **جاثليقيّة** وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين .

فهذا العقد الذي أجمع عليه الملكية والنسطورية واليعقوبية، ولم يختلفوا فيما اشتمل عليه من أنه نزل من السماء وتجسد وصار إنسانا وحبل به وأولد من مريم وأولم وصلب. وثبتوا في هذه الامانة أن الإبن مولود من الأب قبل كون الخلائق، وأن الإبن من طبيعة الاب: غير مخلوق وكل من قال بقوله. فافترق هذا المجمع وهم متفقون على لعن آريوس ومن قال بمقالته، والتبرّي منه وتكفيره.

مجمع صور

ثم كان لهم بعد هذا مجمع ثان. وذلك أنه لما كان بعد سنين أمر الملك قسطنطين أن يجمع جموعاً عظيمة في مدينة صور فإذا اتفقوا على التقديس ساروا إلى البيت المقدس، فاجتمع بصور خلق عظيم من الأساقفة والبطاركة وفيهم أصحاب آريوس.

فقالوا: إن آريوس لم يقل إن المسيح خلق الاشياء ولكن قال: به خلقت الأشياء لأنه كلمة الله تعالى التي خلق بها السموات والأرض، وإنما خلق الله الأشياء بكلمته ولا يخلق الأشياء بكلمته ولا يخلق الأشياء كلمته(٤٤). وكما قال المسيح في الانجيل «كلّ بيده كان، ومن دونه لم يكن شيء»(٤٥) وقال «به كانت الحياة، والحياة نور البشر»(٤٦) وقال «في العالم كان، والعالم به مكون»(٤٧) فأخبر أن الأشياء كونت به، ولم يخبر أنه كونها. قالوا: فهذه مقالة آريوس. ولكن الثلاث مائة وعشرون أسقفاً تعصبوا عليه وتعدوا، وأحرموه(٤٨) ظلماً وعدواناً. فرد عليهم بعض الفريق الآخر وقالوا لهم: أما آريوس فلم تكذب عليه الأساقفة وما

---

(٤٤) كذا.

(٤٥) يوحنا ١ : ٣

(٤٦) يوحنا ١ : ٤

(٤٧) يوحنا ١ : ١٠

(٤٨) كذا.

ظلموه. فما زال أصحاب آريوس يقحمونهم[٤٩] بالحجج والبراهين حتى ظهروا عليهم، فضربوهم حتى كادوا يقتلونهم[٥٠] وما خلّصهم إلا ابن أخت الملك.

(٤٩) في الأصل: يقحموهم.
(٥٠) في الأصل: يقتلوهم.

مجمع قسطنطينية

ثم كان لهم بعد هذا مجمع ثالث لما كان بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول الذي كان بنيقية، اجتمع الوزراء والقواد إلى «تدرس» الملك وقالوا له: إن مقالة الناس قد فسدت، وغلب عليهم مقالة آريوس وتلميذه مقدونيس فاكتب إلى جميع الأساقفة والبطاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية.

فكتب الملك إلى سائر بلاده، فاجتمع في قسطنطينة مائة وخمسون أسقفاً وكان المقدمون عليهم بطريك الإسكندرية وبطريك انطاكية وبطريك بيت المقدس. فنظروا في مقالة مقدونيس الآريوسي، وكانت مقالته أن روح القدس مخلوق مصنوع ليس بإله. فقال بطريك الأسكندرية ليس روح القدس عندنا معنى غير روح الله تعالى، وليس روح الله مخلوق، وإذا قلنا إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة فإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد قلنا أنه غير حي، فقد كفرنا به، ومن كفر به فقد وجب عليه اللعن. فلعنوا بأجمعهم مقدونيس وشيخه آريوس، ولعنوا البطاركة الذين قالوا بقوله، ولعنوا أسقف نوقيه وأشياعه لأنه كان يقول: الأب والإبن ورح القدس وجه واحد، ولعنوا ابن ساريوس وأشياعه لأنه كان يقول: جسد المسيح بلا عقل.

وثبتوا أن روح القدس خالق غير مخلوق إله حق من طبيعة الأب والإبن جوهر واحد، طبيعة واحدة. وزادوا في الأمانة التي وضعها الثلاث مائة وعشرون

أسقفاً «وبروح القدس الرب المحيي الذي من الأب منبثق الذي مع الأب والإبن» فكان في تلك الأمانة وبروح القدس فقط، وبينوا أن الاب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص، وحدةفي تثليث وتثليث في وحدة واحدة في ثلاثة أقانيم إله واحد والطبيعة واحد . وثبتوا أن جسد المسيح بنفس باطنه سقليه .

وأطلق بطريك الإسكندرية طيماروس للبطاركة والأساقفة والرهبان أكل اللحم ليخالف مذهب المانية. وكان معظم بطاركة مصر والإسكندرية ورهبانها على مذهب ماني، لا يرون أكل اللحم ولا الذبيحة. فأكل جميعهم اللحم لئلا ينفضحوا ويخل ناموسهم فانقضى هذا المجمع الثالث أيضاً.

وقد لعنوا فيه من ذكر ما من أساقفتهم وبطاركتهم.

مجمع أفسس

ثم لما كان بعد إحدى وخمسين سنة من هذا المجمع القسطنطيني كان لهم مجمع رابع على نسطورس وكان مذهبه أن مريم العذراء ليست بوالدة الإلّه على الحقيقة فلذلك كان إثبات أحدهما الإلّه الذي هو موجود من الأب، والآخر الإنسان الذي هو موجود من مريم وأن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإلّه ويقال له الإلّه وابن الإلّه ليس على الحقيقة ولكن على المجاز فبلغ ذلك بطاركة سائر البلاد، فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطئته فاجتمع منهم مائة أسقف في مدينة «إفسس» وأرسلوا إليه بالمناظرة فامتنع عليهم ثلاث مرات فأوجبوا اللعن عليه ثلعنوه وثبتوا أن مريم العذراء ولدت إلّهاً على الحقيقة وأن المسيح إلّه حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد في الأقنوم فلما لعنوا نسطورس تعصب له يوحنا بطريك أنطاكية فجمع أساقفته الذين قدموا معه وهم بطريك الإسكندرية وأسقف افسيس وناظرهم فقطعهم فقاتلوا فخرجوا متباينين وجرى بينهم شر عظيم وتفاقم أمرهم إلى أمر عظيم فلم يزل الملك حتى أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة بأن مريم القديسة ولدت إلّهاً وبقاء يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة ومع الناس في الناسوت. وأقروا بطبيعتين ووجهاً واحداً أقنوماً، وأنفذوا بلعن نسطورس إلى سائر البلاد ونفوه. فلما نفي نسطورس سار إلى أرض مصر، فأقام في اضميم سبع سنين ومات ودفن بها واندرست

مقالته حتى أحياها ابن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق. فأكثر نصارى العراق والمشرق نسطورية، فانقضى ذلك المجمع الرابع أيضاً. وقد اتفقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته.

مجمع قسطنطينية الآخر

ولما كان في سنة أربعين من ملك تدرس الصغير كان لهم خامس أيضاً. وكان سبب هذا المجمع أنه كان بالقسطنطينية رجل راهب طبيب يقال له أوطسيوس يقول إن جسد المسيح ليس هو مع أجسامنا في الطبيعة. وأن المسيح قبل التجسد من الطبيعتين وبعد التجسد من طبيعة واحدة. وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي مقالة اليعقوبية، فرحل إليه أسقف دويلة فناظره فقطعه ودحض حجته ثم سار إلى قسطنطينية فأخبر بطريكها بالمناظرة وبانقطاعه، فأرسل بطريك القسطنطينية إليه فأشخصه وجمع جمعاً عظيماً فقال أوطسيوس: إن قلنا أن المسيح طبيعتين فقد قلنا بقول نسطورس ولكن نقول المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد لأن من طبيعتين كانتا قبل التجسد فلما قبل زالت عنه التثنية وصار طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً. فقال له بطريك القسطنطينية: إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة وإن كان القديم هو المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن. ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد. فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه فاستعدى إلى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب إلى جميع البطاركة للمناظرة فاستحضر الملك البطاركة والأساقفة من سائر البلاد إلى مدينة أفسس، فبعث بطريق الإسكندرية مقالة أوطسيوس وقطع بطاركة القسطنطينيَة وأنطاكية وبيت المقدس ودويلة وأنقرة وسائر البطاركة والأساقفة. وكتب إلى بطريك روقية وإلى جماعة الكهنة فحرمهم

ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطسيوس، ففسدت الأمانة وبقيت المقالة مقالة أوطسيوس وخاصة بمصر والإسكندرية، وهو مذهب اليعقوبية. فافترق هذا المجمع الخامس، وكل فريق منهم يلعن الآخر ويكفره ويتبرأ من مقالته.

المجمع السادس خلقدونية

ثم كان لهم بعد هذا مجمع سادس في مدينة خلقدون. وذلك أنه لما مات تدرس الصغير تولى بعده مرقبون اجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد فأعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة إنصافهم وأن مقالة أوطسيوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية، فأمر الملك باستحضار سائر البطاركة والمطارنة والأساقفة إلى مدينة خلقدون، فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة أوطسيوس وبطريك الإسكندرية اللذين[٥١] قطعا جميع البطاركة وأفسدا مقالة الجميع ولعنوهم وأثبتوا أن يسوع المسيح إلّه وإنسان في الكيان مع الإلّه في اللاهوت وفي الكيان معنا في الناسوت، يُعرف بطبيعتين: تام باللاهوت وتام بالناسوت. مسيح واحد.

وثبتوا قول الثلاث مائة وثلاثة وعشرين أسقفاً وقبلوا قولهم بأن الابن مع الله في الكيان نور من نور، إلّه حق من إلّه حق. ولعنوا آريوس وقالوا إن روح القدس الإلّه، وأن الأب والابن وروح القدس إلّه واحد بطبيعة واحدة. والأقانيم ثلاثة.

وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسيس وقالوا إن مريم العذراء ولدت

(٥١) في الأصل: اللذان.

إلهاً ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الإله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وشهدوا أن المسيح طبيعتين وأقنوما احداً، ووجهاً واحداً. ولعنوا نسطورس وبطريك الإسكندرية، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان في مدينة إفسيس، ثم المجمع الثالث المائتي أسقفاً الذين كانوا في مدينة إفسيس أول مرة. ولعنوا نسطورس وكان من هذا المجمع إلى مجمع خلقدون أحد وعشرون سنة فانقضى هذا المجمع.

وقد لعنوا مقدميهم وأساقفتهم وكفروا وتبرؤوا منهم ومن مقالاتهم.

مجمع ناسخ لمجمع خلقدونية

ثم كان لهم بعد هذا مجمع سابع في أيام إسطاس الملك، وذلك أن سورس القسطنطيني كان على رأي أقسطيسوس وديسويوس بطريق الإسكندرية، فجاء إلى إسطاس الملك فقال إن المجمع الخلقدوني الستمائة وثلاثين قد أخطأوا في لعن أوطسيوس. والدين الصحيح ما قال فلا نقبل دين رسوله ولكن اكتب إلى جميع أعمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد فأجابه الملك إلى ذلك فلما بلغ ذلك إيليا بطريك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا أنسيطاس الملك وسورس ومن يقول بقولهما فبلغ ذلك أنسيطاس فغضب وبعث فنفى بطريك بيت المقدس وبعث يوحنا بطريكاً على البيت المقدس. وكان يوحنا قد ضمن للملك أن يلعن المجمع الخلقدوني الست مائة وثلاثين، فلما قدم إلى البيت المقدس اجتمع الرهبان إليه وقالوا له إياك أن تقبل مقالة سورس ولكن قاتل عن المجمع الخلقدوني ونحن معك. فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليه قائداً وأمره أن يأخذ يحنّا[٥٢] يطرح المجمع الخلقدوني فإن لم يفعل ينفيه عن الكرسي، فقدم القائد يحنا في الجلس فسار إليه الرهبان في الجسر، وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك فإذا حضر فليفر من لعنة الرهبان ففعل ذلك فاجتمع الرهبان وكانوا عشرة

---

(٥٢) كذا في المخطوط. وقد درج على كتابتها هكذا والمعتاد أن تضاف واو بعد الياء.

آلاف[٥٣] راهب ومعهم رؤساء الديارات فلعنوا أوطسيوس وديسيفوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الخلقدوني، وقرع رسول الملك من الرهبان وبلغ ذلك الملك فهمّ بنفي يحنا فاجتمع الرهبان والأساقفة فكتبوا إلى إنسيطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحداً من المخالفين ولو أهرقت دماؤهم، وسألوه أن يكف أذاه عنهم.

وكتب بطريك رومية الى الملك يقبّح فعله ويلعنه فانقضى هذا المجمع أيضاً وقد تلاعن فيه هذه الجموع على ما وصفنا وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب وهو المعروف بيعقوب البراذعي يقول بمقالة سورس. وإنما لقب بالبراذعي لأنه كان يلبس من خروق براذع الدواب يرقع بعضها ببعض وإليه تنسب اليعاقبة فأفسد أمانة الناس ثم مات أنسيطاس الملك وولى بعده قسطنطين فرد كل من نفاه انسطاس الملك إلى موضعه وكتب إلى بيت المقدس بأمانة فاجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً وأثبتوا المجمع الخلقدوني بالست مائة وثلاثين أسقفاً ثم ولى من بعده يوسطينايوس الملك، وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية وقتلوا بطريكاً لهم يقال له بولس، وكان ملكياً، فأرسل الملك قائداً ومعه عسكر عظيم إلى الاسكندرية، فدخل الكنيسة في لباس البطركية وتقدم وتقدس ورموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه. فانصرف عنهم ثم أظهر لهم بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب من الملك وضرب الجرس وأمل أن يجتمع الناس يوم الأحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالاسكندرية حتى حضر لاستماع كتاب الملك وكان قد جعل بينه وبين جنده علامة وقال لهم: إذا أنا فعلتها فضعوا السيف في الناس ثم صعد المنبر وقال: يا معشر أهل الاسكندرية إن رجعتم إلى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة وإلا لم تأمنوا أن يوجه الملك إليكم من يسفك دماءكم. فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه أن يقتل فأظهر لجنده العلامة فوضعوا السيف على كل من كان في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها لا تحصى لهم كثرة حتى خاض الجند في الدماء إلى الركبة وهرب منهم خلق كثير وظهرت مقالة الملكية بالاسكندرية .

(٥٣) في الأصل: ألف.

المجمع القسطنطيني الثامن

ثم كان لهم بعد ذلك مجمع ثامن بعد المجمـع الخلقدوني الذي لعنت فيه اليعقوبية بمائة وثلاثين سنة، وذلك أن أسقف منبج كان يقول بالتناسخ وأن ليس قيامة، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف أنقره يقولون إن جسد سيدنا المسيح «نيطاسا» أي خيالاً غير حقيقة فحشرهم الملك إلى قسطنطينية فقال لهم بطريكها: إن كان جسده خيالاً فيجب أن يكون فعله خيالاً. وقال لأسقف منبج أن سيدنا المسيح قد قام من الموتى فأعلمنا أن كذلك يقوم الناس من الموتى يوم الدينونة، وكان في إنجيله أن تأتي ساعة حتى إن كل من في القبور إذا سمعوا قول ابن الله يجيبوا فكيف تقول ليس قيامة؟

فأوجب عليهم الخزي واللعن وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه فاستحضر الملك بطاركة البلاد فاجتمع في هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة وثبتوا على أسقف الرها وأسقف أنقره أن جسد المسيح حقيقة لا خيال وأنه إله تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد.

وثبتوا المجامع الاربعة التي قبلهم وبعد الجمع الخلقدوني، . وقالوا إن الدنيا زائلة، وإن القيامة كائنة وأن سيدنا المسيح يأتي فيدين الاحياء والاموات كما قال لثلاث مائة وثلاثة وعشرون.

المجمع التاسع

ثم كان لهم مجمع تاسع أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه وكفر بعضهم بعضاً وذلك أنه كان برومية راهب قدير يقال له مفسملس وكان له تلميذان، فجاء إلى قسطا الوالي فوبخه على قبح مذهبه وبشاعته وأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه، ونزع لسانه ونفاه، وفعل بأحد التلميذين مثله، وضرب التلميذ الآخر بالسياط. فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ليعلم وجه هذه الحجة المخالفة فبعث إليه مائة وأربعين أسقفاً وثلاثة شمامسة. فلما وصلوا إلى قسطنطينية جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فصاروا ثلاث مائة وأحد عشر أسقفاً.

وكان رئيس هذا المجمع بطريك قسطنطينية وبطريق أنطاكية، ولم يكن للبيت المقدس ولا للإسكندرية يومئذ بطريكاً، فلعنوا من تقدم من القديسين: مقدونيوس وجريج ومقاريس بطاركة أنطاكية واسطفرسوس تلميذ مقاريس ولعنوا كورس وبطرس أساقفة الإسكندرية، ولعنوا بوريوس بطريك رومية، ولعنوا سرجس وبورس وبولس وبطرس بطاركة قسطنطينية، ولعنوا أبودروس أسقف فاران، ولعنوا أسيمن الساحر وكان رجلاً قسيساً سريانياً، وكان مخالفاً يدعي بزعمه أن المسيح تراءى له في البرية فأخبره أن هؤلاء أصحاب المشيئة الواحدة على الحق، وقدم إلى قسطنطينية بعدما نفدت القضية على أولئك ولعنوا.

فأراد أن يقوم بحجة أصحاب المشيئة الواحدة فلعنوه مع أصحابه. فلما لعنوا أصحاب المشيئة الواحدة جلسوا وقالوا: نخلص أمانة مستقيمة، فقالوا:

نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الواحد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الأب الإلّه في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ومشيئتين في أقنوم واحد يعرف تاماً باللاهوتية، وتاماً بالناسوتية.

وشهدت كما شهد مجمع الخلقدونية على ما سبق أن الإلّه الابن اتحد من العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنساناً بنفس ناطقة عقلية. وذلك رحمة الله تعالى محب البشر. ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمله في طبيعته وما يشبه الإلّه أن يعمله في طبيعته الذي هو الابن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة التي صارت في الحقيقة لحماً كما يقول في الإنجيل بزعمهم من غير أن تنتقل من مجدها الأزلي، وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين: إلّهي وإنسي الذي بها يكمل قول الحق. وكل واحد من الطبيعتين يعمل مع شركة صاحبها مشيئتين غير متضاددتين ولا مضارعتين وليس لبعضهم ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلّهية القادرة على كل شيء.

قالوا: فهذه شهادة وأمانة المجمع السادس من المجمع الخلقدوني. وأثبتوا ما أثبتوه: التسع مجامع التي كانت قبلهم، ولعنوا من لعنوه(٥٤)، وكان بين المجمع الخلقدوني إلى هذا المجمع مائة سنة.

---

(٥٤) ومن أصدق من الله القائل ﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ [النساء ١٥٧]. وقد اشتمل كل مجمع له على تناقضات واختلافات فخرجوا بقرارات اللعن التي تميزت بها مجامعهم، فهذه عقوبة الله لهم حين أبوا إلا الشرك وتأليه المسيح إذ أوقع بينهم الفتن والبغضاء فصار يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً. وقد بين الله تلك العقوبة حين قال: «ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكرّوا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. وسوف ينبئهم الله. بما كانوا يصنعون﴾[المائدة ١٤].

المجمع العاشر

ثم كان لهم مجمع عاشر: وذلك أنه لما مات الملك ولي بعده ابنه، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل. فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم، وثبتوا قول المجامع الخمسة ولعنوا من لعنهم وانصرفوا.

(قال المؤلف رحمه الله) انظروا رحمكم الله بعين الاعتبار إلى هذه المجامع والحشود الذين يزعمون[٥٥] أنهم علماء النصرانية ومقدموهم ونقلة الدين إليهم: كيف يكفر بعضهم بعضاً، وكيف ارتكبوا في هذه المجامع الضلالات، وقالوا باختلاط القديم بالمحدثات، وكذبوا سائر الكتب والنبوات، وجعلوا الثلاثة واحداً والرب ولداً والقديم محدثاً. وهم حائرون في معرفة إلههم، لم يستقر لهم قدم، وكل من تأخر منهم يلعن من تقدم، وكل منهم قد اتخذ إلهه هواه وباح باللعن والتبري ممن اتبع سواه.

---

(٥٥) في الأصل: يزعموا.

مخالفتهم للتوراة والانجيل وابطال ثالوثهم

الأصل الثاني في الرد عليهم: وفيه نقض الفصول. وفي هذا الأصل يتبين كشف أسرارهم وهتك أستارهم وبيان ارتكابهم المستحيل ومخالفتهم لما جاء في التوراة والإنجيل.

الجواب وبالله التوفيق فنقول: يا معشر النصارى: ما هذا المحال الذي أشرتم إليه، والباطل الذي اعتمدتم عليه؟ فلو أنكم تأملتم ما جئتم به من المضحكات، لكنتم عنها صامتين، وكنتم من المسلمين سالمين، وإنما دخل عليكم العارض، لأنكم أخذتم أصل الدين من السبعين، وهم من أعدائكم المكذبين، فصنفوا لكم هذا الكذب والبهتان من خوفهم من القتل والهوان. فأخذه (نلوما) قيصر ملك الروم بالتسليم، وظن أنه مستقيم، وسلمه للقسيسين والرهبان أهل الكفر والطغيان، فاستنبطوا منه ـ بقلّة عقلهم ـ أن رب الأرباب تجسد في جوف إنسان وخرج من رحم امرأة ورضع وفطم وأكل وشرب في العرس وسكر ونام في المركب وجاع وبقي من جوعه يدور على أورشليم مثل الحزين، ويظن في الشتاء أنه في الشجرتين. كذلك تجدونه مسطوراً عندكم في الإنجيل أنه طلب التين من جوعه في غير أوانه، وأخذ عليه يهوذا الاسقريوطا[٥٦] ثلاثين درهماً جعلاً من اليهود ليدلهم على مكانه فدلهم بزعمكم عليه، فأخذه اليهود بزعمكم وصلبوه

(٥٦) في الأناجيل بلفظ: الأسخريوط.

بين نصين، وضربه يوكيس بالحربة ونزله يوسف عن الصليب. وقبر وأقام في القبر ثلاثة أيام.

وقالوا لكم على كل قول من هذه الأقوال دليلاً تشهد به التوراة والنبوات والإنجيل. فسمعتم منه هذه المقدمة وظننتم أنه أصل التصدير والتقدمة. فلو تأملتم ما جاؤوا به من الحجج المبهمة لعلمتم أنهم أصحاب البصائر المظلمة الذين لا يوجد في قولهم كلمة يتفق عليها أهل العقول السالمة. ولا حرف واحد يشهد لكم إذا رجعنا إلى المحاكمة. فإنكم تزعمون أن المسيح أمركم بأوامر ثم نراكم تخالفونها في الباطن والظاهر.

ومتّى يشهد عليكم وإنجيله يسير باللعنة إليكم، فإنكم تقرون فيه أن كل من حل في التوراة حرفاً واحداً أو نقطة واحدة ملعوناً يكون في السماء والأرض. وأهون عند الله نقض السموات والأرض من نقض حرف واحد من التوراة(٥٧). فكم نقضتم أنتم من كلمة، وكم تركتم من الأوامر المحكمة، واتبعتم آراء السفهاء المظلمة.

فيا معشر النصارى: أليس قال في العشر الكلمات التي أقررتم أنها منزلة من عند الله أولها: قال الله لبني إسرائيل: «أنا الله ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر من بيت العبودية لا يكون لكم إله غيري». وقال موسى عليه السلام: «اسمعوا يا بني إسرائيل الله ربنا إله واحد. كل من قال أن ثم إله غيره فارجموه ولا ترحموه»(٥٩). وقال في التوراة أيضاً أنه لما حضرت يعقوب الوفاة قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فثبت توحيد الإله الواحد(٦٠).

وقال في التوراة أيضاً «إني أنا الله أهيا شراهيا إلى إبراهيم وإله إسحاق وإله

---

(٥٧) أنظر متى: ٥: ١٧ ـ ١٨.
(٥٨) خروج ٢٠: ٢
(٥٩) المقطع الأول من الجملة عند مرقس ١٢: ٢٨ أما الباقي فلم أجده.
(٦٠) قصة يعقوب بكاملها موجودة في سفر التكوين ولا توجد فيها هذه العبارة. وقد أغرب المصنف بنسبتها إلى التوراة وهي بلفظها آية من سورة البقرة.

يعقوب، هذا اسمي إلى الأمم، وهذا ذكري إلى دهر الداهرين»[٦١].

وقال في السفر الثاني من التوراة: «أنا الرب إلهك فلا تعبد إلهاً غيري ولا تشبّه بي شيئاً مما في الأرض ولا مما في السماء ولا مما تحت الماء»[٦٢].

وقال متى في الفصل التاسع[٦٣] من إنجيله أن رجلاً قال للمسيح أيها الخير. فقال له المسيح لم سميتني الخير؟ ليس الخير إلا الله وحده[٦٤].

وقال يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله أن المسيح رفع بصره إلى السماء وتضرع إلى الله وقال: «إن الحياة الدائمة تجب للناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الحق وأنك أنت أرسلت يسوع المسيح»[٦٥] وهذا هو التوحيد المحض.

وقال في الإنجيل «إني لم أعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني»[٦٦].

وقال يوحنا في الفصل الخامس من إنجيله «إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي بل بمشيئة من أرسلني[٦٧] ومشيئته أن لا أضيع شيئاً مما وهبه لي.

وقال في الإنجيل: أن امرأة رأت المسيح فقالت: «إنك كذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه فقال لها المسيح: صدقتي طوبى لك»[٦٨].

وقال: «إن الله لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولا ينم، ولا رآه أحد»[٦٩].

---

(٦١) لم أجده بلفظه.
(٦٢) خروج ٢٠ : ٣. وليس فيها: «لا تشبه بي شيئاً مما في الأرض».
(٦٣) الصحيح أنه في الاصحاح التاسع عشر من متّى.
(٦٤) متى ١٩ : ١٧ وقد وصفه الرجل بـ «الصالح» وليس «الخير» كما ذكر المصنف.
(٦٥) يوحنا ١٧ : ٣.
(٦٦) يوحنا ٦ : ٣٨.
(٦٧) يوحنا ٥ : ٣٠.
(٦٨) غير موجودة في الأناجيل الأربعة.
(٦٩) وهذه أيضاً غير موجودة، إذ لو قدر وجودها لحسمت القضية بيننا وبين النصارى، فإننا ما زلنا نخاطبهم منذ مئات السنين أن الله لم يلد ولم يولد ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام. نعم آخر عبارة في هذه الجملة «ولا رآه أحد» موجودة في الإصحاح الأول من يوحنا (١٨) «الله لم يره أحد قط».

وقال يوحنا في الإنجيل «إن كلامي الذي يسمعون هو كلام من أرسلني»[٧٠].

وقال أيضاً في الإنجيل أن إنساناً قال للمسيح يا أيها المعلم مر أخي يقاسمني تركة أبي فقال له المسيح: «يا رجل من أقامني عليكم قاسماً وحاكماً»[٧١] فتبرأ المسيح من أن يتعرض [٧٢] لما لم يؤذن له فيه.

وقال في الإنجيل أن الشيطان قال ليسوع «اسجد لي وأعطيك ملك الأرض. قال له يسوع اذهب عني يا شيطان إن الله أمر في التوراة أن لا يسجد لغيره ولا يعبد إلهاً سواه»[٧٣] فدل أنه كان متعبداً بأحكام التوراة، ولا متعبد إلا مكلف مربوب.

قال يوحنا في إنجيله أن المسيح دعا الله وقال: «يا أبتاه من يؤمن بك فيكون بك فيكون كلهم واحد كما أنك واحد ويعلمون أنك أرسلتني ليعلموا أنك وحدك إله الخلق، وأنت أرسلتني»[٧٤]. وليس الرسول مثل سيده ولا العبد مثل مولاه.

وقال متّى في إنجيله أنه قال «ما بعثت إلا لبني إسرائيل الذين هم مبددون مثل الغنم ليس لها راع»[٧٥].

وقال يوحنا في إنجيله أن اليهود قالوا للمسيح: «من أين لك هذا العلم وأنت ما تعلمت كتاباً؟ فقال لهم المسيح: إن تعليمي ليس مني ولكن هو من عند الله الذي أرسلني، ولا أتكلم من تلقاء نفسي، من يتكلم من تلقاء نفسه يزيد وينقص وينبغي أن يحمده الناس. والذي يحمد من أرسله فإنه يكون صادقاً»[٧٦].

---

(٧٠) يوحنا ٨: ١٦ و١٤: ١٠ و١٢: ٤٩.

(٧١) لوقا ١٢: ١٤ واللفظ «يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً».

(٧٢) في الأصل: تتعرّض.

(٧٣) متى ٤: ١٠، لوقا ٤: ٨ ولم يذكر في كلا النصين التوراة لفظاً.

(٧٤) يوحنا ١٧: ٣ «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته».

(٧٥) متى ١٥: ٢٤ «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

(٧٦) يوحنا ٧: ١٦.

وقال بولس في رسالته إلى طيماثووس: «الله ملك العوالم والدهور الذي لا يفسد ولا يرى، وهو الله وحده، له الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين»[٧٧].

وقال يوحنا في الفصل التاسع من إنجيله أن المسيح قال لليهود: «أنتم تفعلون أفعال أبيكم. فقالوا: إنا لم نكن من زنا، وما لنا إلا أب واحد وهو الله وحده. فقال لهم المسيح لو كان أبوكم كنتم تحبونني لأني من عند الله خرجت وجئت، وليس من تلقاء نفسي جئت ولكن هو الذي أرسلني. فقالت اليهود لسنا بمصيبين في قولنا أنك سامري وأن فيك شيطان. فقال لهم: لست بمجنون ولكني أكرم أبي ولا أحب أن أمدح[٧٨] نفسي بل أمدح أبي لأني أعرفه، فإن قلت إني لا أعرفه كنت عادياً، بل أعرفه وأتمسك بأمره»[٧٩].

وقال لوقا التلميذ في إنجيله: «إن يحيى المعمدان أرسل إلى المسيح بعد أن عمده وسأله أن ذلك الذي يحيي أو يتوقع غيرك فكان جواب المسيح لرسله أن قال ارجعوا تخبروه. مما تروني من عميان يبصرون وزمناً ينهضون وصم يسمعون، وطوبى لمن لم يعثر بي»[٨٠].

وقال في إنجيل متى عن المسيح عليه السلام: «أنتم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ تعلمون أني أنا هو، وشيء من قبل نفسي لا أفعل ولكن كل شيء الذي علمني أبي»[٨١].

وقال في موضع آخر من الإنجيل: «من عند الله أرسلت معلماً»[٨٢].

وقال لأصحابه: «أخرجوا بنا من هذه المدينة فإن النبي لا يحل في مدينته»[٨٣].

---

(٧٧) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٧.

(٧٨) ساقطة من الأصل.

(٧٩) الصحيح أنه في الإصحاح الثامن وليس التاسع والآيات ٤١ ـ ٥٥.

(٨٠) متى ١١: ١ ـ ٦.

(٨١) ليس القائل متّى، وإنما يوحنا ٨: ٢٨.

(٨٢) لم أجده بلفظة.

(٨٣) متى ١٠: ١٤ و٢٣.

وقال يحنا التلميذ في الانجيل عن المسيح : « إن كلامي الـذي تسمعون هو كلام من أرسلني »[٨٤].

وقال أيضاً : « كما أمرني ربي كذلك أفعل »[٨٥] فاعترف بأنه مربوب .

وقال عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: «تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله»[٨٦] وقال شمعون الصفا فيما ترون يا رجال بني إسرائيل اسمعوا مقالتي: إن يسوع الناصري رجل ظهر لكم من عند الله ذو القوة والأيد والعجائب التي أجراها على يديه»[٨٧] وشمعون أوثق التلامذة عندكم وأصحهم قولاً يخبركم أن المسيح رجل، وأنه من عند الله. وقال لوقا في إنجيله أن المسيح لقيه ومعه أحد من تلامذته بعدما قتل بزعمكم فرآهما حزنين فقال لهما وهما لا يعرفانه: «ما بالكما محزونين؟ قالا: كأنك غريب ببيت المقدس لا تدري ما حدث فيه؟ قال: وما هو؟ قالا: إن يسوع الناصري كان رجلاً قوياً نبياً في قوله وفعله عند الله فأخذوه وقتلوه على توهمهم فيه»[٨٨].

وقال في الإنجيل أن جبريل عليه السلام قال لمريم حين بشرها بالمسيح عليه السلام «السلام عليك أيتها الممتلئة نعماً، ربنا معك أيتها المباركة في النساء. فلما رأته مريم فزعت منه فقال لها: لا ترهبي يا مريم؛ فقد فزت بنعمة من ربك، فها أنت تحبلين وتليدين ابناً وتسميه يسوع، ويكون كثيراً، ويسمى ابن الله العلي، ويعطيه الرب كرسـي أبيه داود ويكون ملكاً لآل يعقوب إلى الأبد. فقالت مريم: أنى يكون ذلك ولم يمسسني بشر؟ فقال لها الملك: إن روح القدس يأتيك، وقوة العلي تجيء بك[٨٩] من أجل الابن في اللغة العبرانية كما يكون الولد

---

(٨٤) يوحنا ١٤ : ١٠.

(٨٥) لم أجده بلفظة.

(٨٦) يوحنا ٨: ٤٠.

(٨٧) هذا كلام بطرس وليس شمعون الصفا. انظر أعمال الرسل ٢ : ٢٢.

(٨٨) لوقا ٢٤ : ١٥ ـ ٢١ وقد أنكر عليهما المسيح اعتقادهما أنه صلب ومات قائلاً لهما: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل مجده» ولما خافا أن يكون روحاً قال لهما: «انظروا يديّ ورجليّ أني أنا هو. وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام « لوقا »٢٤ .

(٨٩) في إنجيل لوقا ١ : ٣٤ «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك» وهذه العبارة غاية في

من أبيه»[٩٠] وقد سمى ابن الله جماعة قبله.

وفي الإنجيل عندكم أن المسيح عليه السلام قال «اذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[٩١] فلم يفرد نفسه باسم النبوة دونكم ولا ادعى لكم الألوهية كما ادعيتموها له بل قد أخبركم أن الله إلهه وإلهكم، وجمعكم ونفسه في ذلك ولم يختصها بشيء من الألوهية دونكم.

وقول الملك أنه ابن داود ما حقق نسبه منه. وقوله يسمى ابن الله كما يسمى بذلك غيره. وسماكم أنتم بذلك ولم يقل أنه وحده.

وأنتم تقرون في التوراة أن الله عز وجل قال لإسرائيل: «أنت ابني بكري»[٩٢] وقال لداود في الزبور «أنت ابني حبيبي»[٩٣] ولم يسم أحداً ابن الله من هؤلاء.

فيا معشر النصارى: كيف جعلتم المسيح ابن الله تعالى والله أباً؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. فجميع الأنبياء مجمعون على رب واحد، وأن صانع العالم إله واحد لم يذكر واحد منهم شيئاً مما ذكرتموه ولا أشار أحد إلى الضلال الذي سلكتموه فما كانت الحاجة بكم والضرورة التي حملتكم على مخالفة الأنبياء؟

هذا موسى عليه السلام لما قال «إله واحد» لو كانوا ثلاثة كما زعمتم لما وسعه تغيير الكلام الذي سمعه من مولاه ولا استحيا بتبديله عن معناه.

الشناعة فإن مفادها أن الله قد حل في مريم لتنجب منه المسيح تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه العبارة كانت دليلاً لمن ذهب من النصارى أن مريم زوجة الإله وأم إبنه. ومع كون غالبية فرق المسيحية ينكرون أن تكون مريم زوجة حقيقية للإله ـ وهم لا ينكرونها إلا خوفاً من كثرة التشنيع على مذهبهم ونسبتهم للوثنية ـ فإن مادة هذه الفكرة وأصلها موجود في إنجيلهم وهي مصرحة بها ومفضية إليها. لا سيما وأنهم لا ينكرون أن تكون الآية من كلام الله أيضاً.

(٩٠) لوقا ١: ٢٦ ـ ٣٦.

(٩١) يوحنا ٢٠: ١٧.

(٩٢) خروج ٤: ٢٢.

(٩٣) في المزمور ٢: ٦ أن الله قال لداود: «أنت إبني أنا اليوم ولدتك» وفي صموئيل الثاني ١٧: ٢٤ «أنا أكون له أباً وهو يكون لي إبناً».

وكذلك قال لوقا في إنجيله أن عالماً من علماء اليهود سأل المسيح فقال له: «يا معلم صالح ما أصنع لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له المسيح: تحب الله وحده. فقال له الحبر: نعم ما قلت يا معلم وأنا أعرف أنه واحد[٩٤] فلو كان ما ادعيتموه صحيحاً لم يكن ليكتم الحق. فإن كان بزعمكم مسيحاً، بل كان يقول لمثل هذا الطالب للفوائد «أنا والأب إله واحد» وهو في جميع الأناجيل التي عندكم لم يسم فيها الابن البشر، أترى هذا الإله بزعمكم كان يفزع من اليهود أن يسمى نفسه ابن الإله المعبود.

فيا معشر النصارى كيف أتيتم بما ينافي العقول، وكذبتم مسيحكم وخالفتم الأنبياء والتوراة وأناجيلكم، وجعلتم ذا الملك والملكوت والعزة والجبروت خرج من رحم امرأة ورضع وفطم وصلب على صليب الصلبوت بعد أن وصل إليه من الذل والقتل ما لم يصل مثله إلى أحد من المخلوقين كما حكى لوقا في إنجيله أن المسيح قال بزعمكم على الصليب [إليكم يقالوا][٩٥] جميع عابري الطرقات التفتوا وانظروا إن كان وجع مثل أوجاعي[٩٦]. فهذا الإله المسكين يستغيث مثل الحزين ويتعالى عن مثل هذا أحسن الخالقين. فنرجع إلى نقض منقولكم الذي تعتمدون عليه ودليلكم الذي تشيرون إليه فنقول:

عقيدة الفداء الظالمة:

أما الجواب عن الفصل الأول: فقولكم في آدم لما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها عاقبه وذريته بورود جهنم[٩٧] فهذا كلام من ليس له عقل سليم وهو يحتاج إلى سامع يسمعه فضلاً أن يلتزم ما يرده ويدفعه، وهو محض الإدعاء من غير دليل فإن أمر العقاب في جهنم غيب عنا لا نتوصل إليه إلا بإخبار مخبر عن

---

(٩٤) مرقس ١٢: ٢٩.
(٩٥) غير واضحة في المخطوط.
(٩٦) لا توجد هذه الفقرة في إنجيل لوقا.
(٩٧) بل اعتقدوا أيضاً أن المسيح افتداهم من لعنة الله فصار لعنةً لأجلهم (غلاطية ٣: ١٣) ثم دخل جهنم نيابة عنهم!!

الله تعالى ولم يرد هذا القول الذي ذكرتموه في شريعة من الشرائع بل ورد في شريعة موسى ضد هذا وذلك أنه قال «لا يعاقب أحد بذنب غيره»[٩٨] فلم قلتم أنه عاقب ذرية آدم عليه السلام بالخلود في النار لو لم يبعث ابنه في خلاصهم.

أسطورة التجسد:

وقولكم: ولما رحم الله عباده وأشفق عليهم ألقى كلمته إلى مريم البتول فتجسدت الكلمة في جوفها فخرج منها إله تام من إله تام، نور من نور. فنقول: الكلمة والجوهر عندكم وزائد عليه، فإن قلتم هي الجوهر بلا مزيد فقولوا ألقى نفسه إلى مريم البتول ولا تقولوا كلمته لأن ليس عندكم إلا الجوهر بلا مزيد، وهذا يؤدي إلى التغير والحدوث، والقديم يستحيل عليه التغير والحدوث فأنتم من طرفي نقيض، إما أن يقولوا كل متغير حادث وكل متنقل من حال إلى حال حادث أو يقولوا إن التغير والانتقال من حال إلى حال لا يدلان على الحدوث[٩٩]. فإن قلتم الأول لزمكم حدوث القديم، وإن قلتم الثاني لزمكم قدم العالم كلا القولين محال.

وإن قلتم هي زائدة على الجوهر فنقول لكم: هل فارقت الجوهر أو لم تفارقه؟ فإن قلتم فارقته لزمكم تغير الجوهر، لأنها إذا فارقته لم يتصف بأقنوم العلم بعدما كان متصفاً.

وإن قلتم لم تفارقه استحال أن تحل في مريم مع اختصاصها به لأن الواحد لا يحل في اثنين. فإذا كان ذلك يستحيل في الصفة الموجودة القائمة بالموصوف،

---

(٩٨) تثنية ٣٤: ١٦ «ولا يعاقب أحد على ذنب ارتكبه آخر».

(٩٩) لقد كان الأولى بمن عاين فساد الملة النصرانية ـ بسبب خلط الدين بالمنطق ـ ألا يستعمله في إثبات شيء أو نفيه في الدين. فقواعد التغير والانتقال قواعد أحدثها أفلاطون وأرسطو وغيرهما، وقد أدى الأخذ بها عند بعض متكلمة المسلمين إلى إبطال الصفات الفعلية لله كالاستواء والنزول والإتيان وغير ذلك مما وصف به نفسه وهو أعلم بما يليق به وأعلم بما ينبغي تنزيهه عنه «قل أأنتم أعلم أم الله»؟؟ فليست مصطلحات الحدوث والقدم والتغير والانتقال الميزان الصحيح في الأخذ والرد.

فلأن يستحيل ذلك في الكلمة التي هي أقنوم العلم وهي خاصية الجواهر أولى من غير مزيد.

وقولكم تجسدت في جوفها فنقول لكم: تجسدت لساعتها أو تجسدت لتوليد يوم بعد يوم وساعة بعد ساعة، فأيهما قلتم بطلت حجتكم. فإن قلتم تجسدت لساعتها فهو خلاف الناسوت، فإن الإنسان التام ليس له ذلك، ولا يتصور في العادة استواء الجنين في بطن أمه لساعته فما كان إنساناً تاماً بل كان مخالفاً للإنسان، لأن الإنسان الذي يقع عليه[101] هذا الإسم ينمو[102] أو يزيد في كل شهر من التسعة أشهر، وإن قلتم لا بل زاد ونما شيئاً بعد شيء فليس بإآله تام إذ من المحال أن يجوز على الإآله النمو والزيادة.

فإذا قلتم تجسدت في بطن امرأة فقد صارت متجسدة بعدما لم تكن متجسدة، وهذا بعينه هو التغيير وهو دليل الحدوث. ويؤدي أيضاً إلى محال آخر. إذ المعنى لا يصير جسداً لأنه يؤدي إلى انقلاب الحقائق بأن يرجع غير القائم بنفسه قائماً بنفسه وهذا محال، فإذا كان ذلك يستحيل في المعنى الموجود، فلأن يستحيل في الأقنوم الذي هو خاصية الجوهر أولى.

وقولكم إآله تام من إآله تام لا يستقيم لأنكم لا يخلو[104] قولكم من أمرين:

إما أن تقولوا بحلول الإآلهية فيه بعد ثلاثين سنة وإما أن تقولوا: خرج من بطن أمه إآلهاً تاماً[105].

فإن قلتم إنما حلت الإآلهية فيه بعد ثلاثين سنة: فما خرج من بطنه إآله تام ولا هو إآله تام.

---

(١٠٠) لعلها هكذا.
(١٠١) في الأصل: ينموا.
(١٠٢) في الأصل: شيء.
(١٠٣) في الأصل: يخلوا.
(١٠٤) في الأصل: إآله تام.
(١٠٥) يوحنا ٢: ٣.

وإن قلتم خرج من بطن أمه إلّه تام فقد كذبتم إنجيل يحنا إذ قال في انجيله «أنه لما حضرت مريم وابنها يسوع في العشرين في كنا الجليل قالت له مريم «يا بني قد فرغ الخمر. فقال لها يسوع: وما لي ولك يا امرأة ما دنا بعد وقتي أن أعمل معجزة»[١٠٦] فهذا دليل على أنه ما كان تاماً ولا كان إلّهاً لأن المعجزة إنما تكون للنبي والإلّه يفعلها على يده على وفق قوله تصديقاً له. ويستحيل أن يحد الإلّه بوقت.

فقول يسوع ما دنا بعد وقتي دليل على أنه بشر وليس بإلّه.

وقولكم نور من نور فالنور عرض من الأعراض لا يقوم بنفسه. والباري تعالى قائم بنفسه منزه عن الأعراض.

وقولكم أن سيدكم يسوع خلص العالم من حبال الشياطين التي كانوا يقودون بها الآدميين إلى الجحيم فلما عرفته الشياطين وظنوا أنه واحد من بني آدم فصلب وقتل بغير ذنب وعند ذلك نزل إلى الجحيم فكسر أبوابها وأخرج منها أنبياء الله وأولياءه ثم صعد إلى السماء.

وقلتم أنه ينزل يوم القيامة يدين الأمم ويجلس عن يمين أبيه فنقول لكم: من لا يقدر على تخليص نفسه مما حزبه من الهوان كيف يقدر على تخليص غيره؟

إذ قال مرقس في إنجيله بزعمكم أن المسيح قال وهو على الخشب «إلّهي لم خذلتني»[١٠٧] وذلك عندكم آخر كلام تكلم به في الدنيا.

وقولكم فلما عرفته الشياطين وظنوا أنه واحد من بني آدم فقد كذبتم أناجيلكم إذ فيها مسطور أن الشيطان جربه ثلاث مرات وقال له «إن كنت أنت ابن الله كما تزعم فقد رأيتك جيعان[١٠٨]؟ فقل لهذه الحجارة تصير خبزاً».

ثم قال له «أسجد لي وأعطيك جميع خزائن. فقال له المسيح: إذهب عني

---

(١٠٦) متّى ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤، وعند لوقا لم يقل ذلك ولا عند يوحنا.
(١٠٧) في الأصل: جيعان.
(١٠٨) متى ٤: ١٠، لوقا ٤: ٢ ـ ٨ وليس في شيء منها أن الشيطان قال له «فقد رأيتك جيعاناً».

يا شيطان»[109] إذ لا يجوز السجود لغير الله وحده.

وقولكم وعند ذلك نزل إلى الجحيم فكسر أبوابها وأخرج منها أنبياء الله وأولياءه فنقول لكم: هل كان قادراً على إخراجهم من الجحيم من غير أن يفعل بنفسه هذا الهوان الذي وصفتموه أو لم يكن قادراً؟

فإن قلتم كان قادراً فكيف فعل بنفسه هذا؟

وإن قلتم لم يكن قادراً حتى فعل بنفسه هذه الرذائل فهو عاجز. ومن لا يقدر على خلاص نفسه من الهوان فهو أعجز من خلاص غيره.

وقولكم أنه نزل إلى الجحيم فكسر أبوابها وأخرج منها أنبياء الله وأولياءه فعن من أخذتموه ومن أي كتاب نقلتموه وفي أي كتاب نزل؟ وهل جاء به قول أو جاء به أحد؟ هذه التوراة بين أيدينا، فكيف اقتحمتم الكذب؟ فإن كانت جهنم ملكاً لأبيه على زعمكم فما الذي أحوجكم إلى هذا التطويل أو أحوجه إلى الكسر، فكان يفعل ذلك بغير كسر، ولا يفعل الكسر إلا من غُلب عن الفتح.

وإن كانت ملكاً لغيره فما من فائدة في إرسال ابنه لصلبه وسفك دمه[110].

وقولكم وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه فهذا يبطل قولكم أنه من جوهر الأب، ويمنع من كونهما شيء واحد[111]، لأن الشي الواحد والجوهر الواحد لا يوصف بنه جالس عن يمين نفسه. وإنما يتحقق هذا الوصف في شيئين وجوهرين لأن اليمين إنما هي من النسب الإضافية التي لا تتحقق إلا بين شيئين.

عقيدة الفداء:

وأما الجواب عن الفصل الثاني في سبب كون المسيح جاد بنفسه فنقول:

---

(١٠٩) بل تكون هذه التضحية مجرد مسرحية غير واقعية لأن المسيح قام بعدها. ومعنى التضحية: خسارة شيء وهو لم يخسر شيئاً، ولا يجوز وصف الإله القادر بأنه يضحي فالتضحية ناشئة عن العجز.

(١١٠) هذا رد جيد من المصنف وهذا يبطل حذرهم من أن يُلزموا بالتصريح بثلاثة آلهة مختلفة، فإنهم يقولون: ثلاثة أقانيم وهي كلها واحد.

(١١١) غير واضحة في المخطوط ولعلها: يخجل.

أما قولكم أن المسيح جاد بنفسه وسهل عليه سفك دمه ليكون ذلك سنة في القرابين التي أمر الله بها لموسى عليه السلام، ويكون مجيئه لينقذ الأنبياء والصالحين من الذنب الذي كانوا به معاقبين فليس هذا بصحيح وإنما كانت القرابين لغفران ذنوب بني إسرائيل، ولذلك كانت قرابينهم بقدر ذنوبهم من البقر والغنم والجديان وفراخ الحمام. فمن قرب قربانه وقصد به وجه ربه نزلت من السماء نار فأحرقته فيعلم عند ذلك قبول التوبة وغفران الحوبة.

وليس كما ظننتموه من قياسكم الفاسد أن يكون الله يستولد ولداً ويكون هو والابن شيئاً واحداً ثم يعود بعد ذلك الإتصال إلى الإنفصال فيكون كل واحد منهما منفرداً فيرسله الأب إلى سفك دمه والبصاق واللطم بخده.

ولعمري إن هذا لا يرضاه واحد من العوام فكيف لا يجرى[١١٢] من ينسب ذلك إلى الملك الدّيان!!

فيا معشر النصارى: جعلتم إلهكم يعجز عن خلاصكم ما لم يفعل بنفسه ما لا يليق بالإله من هذه الخصال الرذلة. فلم يقدر على خلاصكم حتى نزل من السماء وتجسد تجسد محدث. إذ لولاه لم يقدر ربكم الإله على خلاص!!

فبعداً وسحقاً لهذا الإله ولا كان خلاصاً يرجى من عند من هذه صفته.

فيا معشر النصارى: أليس في الإنجيل عندكم مكتوب أن الشيطان ساق المسيح إلى البيت المقدس وأقامه على الهيكل وقال له «إن كنت ابن الله فارم بنفسك من ها هنا فإنه مكتوب أن الملائكة توكل به لئلا يعثر رجلك»!! قال المسيح «ومكتوب أيضاً لا تعصي الرب إلهك، ثم ساقه الشيطان إلى جبل وأراه جميع مملكة الدنيا وزخارفها وقال له: إن خررت على وجهك ساجداً لي جعلت هذا الذي ترى كله لك فقال له المسيح: أغرب أيها الشيطان فإنه مكتوب: أسجد إلى الرب إلهك ولا تعبد شيئاً سواه»[١١٣]. ثم بعث الله تعالى إليه ملكاً فاقتلع ذلك

---

(١١٢) تقدم بيان موضعه.

(١١٣) والشيطان أعلم من بني الإنسان إن كان من يخاطبه إنساناً أو إلهاً، ولما كان عالماً بأنه مخلوق

الشيطان ورمى به في البحر وأطلق سبيل المسيح.

فيا معشر النصارى: أليس تعلمون أن هذا الفعل لا يكون من شيطان إلى إلّه[114]، ولا أن ملكاً يخلص إلّهاً من شيطان يعترضه، ولا أن إلّهاً يُمتحن بمثل هذا. فلو كان لكم نظر سليم وفكر قويم لما ارتكبتم هذه المضحكات وخالفتم ما أتت به النبوات.

قضية الصلب:

وأما الجواب عن الفصل الثالث في حكاية صلب المسيح بزعمكم فنقول:

أما احتجاجكم بالمزمور الواحد والعشرين وقلتم أنه حكى فيه صلب المسيح فنقول لكم: هذا ليس بصحيح وليس كما توهمتم ولا هو للمسيح أصلاً، ولا ذكر فيه.

وكيف يكون ذلك وبين داود والمسيح سبع مائة سنة وكسور، وإنما هذا مزمور لداود عليه السلام ذكر فيه حاله مع الفلسطينيين وأنا أذكر القصة وذلك أن شاووك أول ملك كان على بني إسرائيل، وكان داود في زمانه، وكانت بني إسرائيل محبين لداود، فخاف شاووك الملك من داود أن يأخذ الملك منه، فأراد الملك قتل داود بكل ممكن فلم يقدر. فلما جاءت الفلسطينيين في عدد عظيم حاربوا بني إسرائيل وضيقوا عليهم. فبرز واحد من الفلسطينيين إلى عسكر شاووك وطوله عشرة أذرع وهو كله مسربل بالحديد، وهو مقلد بسيف عظيم وفي يده رمح عظيم كان حديده مطواه حائك وقال: من يبارزني؟ فقال شاووك لداود: أخرج إليه. وظن شاووك أن لا طاقة له به، وظن أنه يقتل داود فيستريح منه. وكان داود رجلاً قصيراً فخرج إليه داود بثياب الرعاة ومعه مقلاع وحجر. فقال الجبار: أنا جئت إليك بدرع حديد وسيف ورمح. وأنت برزت إلي هكذا.

أغراه بما يُفتن به الناس، ولو كان المسيح إلّهاً لقال: أتعرض عليّ ملكي الذي خلقته؟!!. لكن الشيطان يعلم أنه ليس إلّهاً وإنما دبّر مكيدة تأليهه ليوقع الملايين من أمة النصارى في الشرك والوثنية.

(١١٤) القصة بتمامها في سفر صموئيل الأول والثاني.

فقال داود عليه السلام: نج نفسي من الحربة ـ يعني بها حربة الجبار الذي برز إليه ـ ومن فم الأسد ـ يعني به الجبار ـ ثم ضرب داود الجبار بالحجر فقتله وحز رأسه، ونصره الله عليه[115]. فهذا سبب دعائه في هذا المزمور الذي تغنى داود به لا كما ظننتموه وحملتموه على غير محمله.

دعوى التثليث من العهدين:

وأما الجواب عن الفصل الرابع في دليلكم على الثالوث الذي احتججتم به من التوراة بقوله لنصنع آدم بصورتنا كشبهنا، وتعلقتم فيه بلفظ الجمع والتشبيه فنقول:

ليس النص كذلك، وإنما نص التوراة «نخلق بشراً» بصورتنا فخلق آدم»[116] وإنما وقع القول على آدم عليه السلام والباري تعالى خاطب بني إسرائيل بلغتهم.

ونون العظمة مستعملة عندهم وعند سائر الأمم، فإن الملوك تقول: نحن نرسل إليهم ونفعل بهم فإنا عليهم قادرون، وكل ذلك يريد الملك نفسه لأجل حشمته وعظمته.

فإذا جاز ذلك في حق ملك مخلوق فكيف لا يجوز في حق ملك الملوك؟

وقولكم «يشبهنا» هذا اللفظ لا يحمل على ظاهرة في التشبيه عند العبرانيين ولا غيرهم من الأمم. وإنما معناه عند العبرانيين: نصنع آدم على صفتنا أي حياً

(١١٥) تكوين ١ : ٢٦.

(١١٦) كذلك نجد عندهم أن أدونياس سجد لسليمان (الملوك الأول ١ : ٥٣) وأن نبوخذ نصر سجد لدانيال (دانيال ٢ : ٤٦) وأن سليمان سجد لبشتبع (الملوك الأول ٢ : ١٩) وأن مغيبوشت سجد لداود (صموئيل الثاني ٩ : ٦) وأن المرأة الشمونية سقطت على رجلي أليشع وسجدت له (الملوك الثاني ٤ : ٣٧) وأن المرأة التقوعية سجدت لداود (صموئيل الثاني ١٤ : ٤) وأن يعقوب سجد على رأس عصا أحد بني يوسف (الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٢١) وأن كرنيليوس سجد لبطرس (أعمال الرسل ١٠ : ٢٥) فعلى افتراض أن إبراهيم قد سجد لما اعتبر ذلك سجود عبادة بالنسبة إلى النصوص الكثيرة التي سقتها والتي تفيد سجود التقدير والاحترام. وإن كنا لا نقر أي نوع من السجود لغير الله سواء أكان تقديراً له أو تقديساً له.

عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً. فيبطل أن يراد بهذا اللفظ التشبيه.

والدليل على هذا أنه لو كان له شبه لم يخل إما أن يشبه المخلوقات كلها وهو محال إذ يلزم منه تناقض عظيم وهو أن يكون الباري تعالى جوهراً عرضاً لوناً طعماً رائحة قدرة علماً حركة سكوناً: وهذا لا يقبله عقل. أو يشبه بعضها فيلزمه ما لزم ذلك البعض فيكون مخلوقاً خالقاً أو مخلوقاً لا خالقاً أو خالقاً لا خالقاً مخلوقاً، ويلزم مثله في مشابهه وهو محال ولا يشبه شيئاً منها وهو الحق الواضح، إذ لو شبهها للزمه ما لزمها.

وأما احتجاجكم بالفصل الآخر على الثالوث، وقولكم إن في التوراة أن إبراهيم سجد لواحد وكانوا ثلاث ملائكة، وقلتم أنه لما سجد للواحد وخاطب الثلاثة أنه يدل على التثليث، فنقول لكم: اليهود لا تسلم لكم أنه كذلك مسطور عندهم في التوراة. فكيف تحتجون بشيء تحرفونه؟

ولو سلمنا لكم نحن أن ذلك صحيح فلا دليل لكم فيه لأن عندكم أن جبريل ـ وهو رئيس الملائكة ـ وأن رفائيل رئيس الملائكة فيمكن أن إبراهيم سجد لرئيس الملائكة لحشمته(١١٧).

وأما قولكم إن في الإنجيل أن المسيح قال للتلاميذ «أدعوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس» وقلتم أن هذا يدل على التثليث وليس في دليل يقتضي التثليث. وآريوس من أصحابكم يخالفكم في هذا التأويل. ونقول لكم إن هذا اللفظ لا يقتضي التثليث. وإنما معناه أن يدعو الناس باسم الله وباسم المسيح وباسم الملك الذي أيده به وهو روح القدس فجمع الثلاثة في اسم الدعوة، ويكون معناها في الدعوة مختلف فيكون الباري عز وجل هو المعني بأنه الرب المعبود، ويكون روح القدس هو المعني بأنه المرسل إلى عيسى من عند ربه(١١٨)،

---

(١١٧) متى ٢٨ : ١٩.

(١١٨) وهذا التأويل بعيد وفيه اعتساف فإننا إذا أردنا الدعاء لأحد فإنا لا نقرنه باسم أحد، ولا نستعين بنبي غائب وليس اعتقادنا في الأنبياء أصلاً أنهم يملكون ضراً ولا نفعاً أحياءً فكيف وهم أموات فقد أمر الله نبيه محمد ﷺ أن يقول « قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً » . وكان هو يقول « يا فاطمة أنقذي نفسك لا أغني من الله شيئاً». وسترى مزيد من الاعتساف عند نهاية الفقرة .

ويكون عيسى معنياً بأنه الرسول إلى الخلق بجامع الثلاثة في اسم الدعوة إذ كانوا جميعاً بها آمرين. ولا يدل ذلك على تثليث. وهذا كما تقولون لمن أردتم الدعاء له اسم فلان النبي معينك على أمورك[119]، وصلاة القديس تكون معك تريدون بذلك البركة لمن يدعون له، فإن صح ذلك عن المسيح أنه قاله فيكون معنى قوله أن يجمع لهم بذلك بركات من ذكر، فمن أين تأولتم في ذلك من قوله أنه يدل على التثليث؟ هذا هو الخطأ المحض والضلال.

وأما المثال الذي مثلتم به من المعقول فهو مثال من ليس له عقل ولا محصول

ومثلتم بالأصل والفرع وبالإصبع والحديد والشمس، وهذه كلها صنع رب الأرباب، فإن كان هذا مستندكم وعليه معولكم ومعتمدكم فكيف اقتصرتم على عقد الإصبع دون الظفر والعصب والعظم وكيف ركبتم إلى الحديد والشرار وتركتم الخشب والرماد؟

وكيف مثلتم بالشمس وشعاعها وحرارتها وضيائها وانبساطها وتعاليلها وانحطاطها؟

فإن كان الثالوث تمّهد لكم من هذه القاعدة فكثير يجيد غيركم من الثنوية والطبائعيين والمنجمين من هذه الأمثلة الفاسدة.

بل تزيدون أنتم عليهم في الفساد فتجعلون بين القديم والمحدث ممازجة. ولولا التطويل لذكرنا من أمثلة هذه الطريق ما يزيد على تمثيلكم وخذلانهم عند التعويل عليهم كخذلانكم.

فيا معشر النصارى لو أنكم أمعنتم النظر في قول سليمان بن داود عليهما السلام في الجامع الذي عندكم وعند اليهود لاستحييتم في قولكم هذا من الخلق وأذعنتم من التسليم إلى الحق، فإنه يقول فيه «ما كان من أول العالم هو إلى يومنا هذا وليس جديد تحت السماء»[120].

(١١٩) وهي غير مقبولة على الوجهتين.

(١٢٠) هذا كلام «جامعة بن داود» الملك النبي وليس كلام سليمان عليهما السلام. سفر الجامعة ١ : ٩.

وهذا قول سليمان عليه السلام نفي لإله جديد. وقد تقدم أن التوراة والإنجيل يهتدون بالتوحيد، وإنما الذي أوقعكم في هذا التخليط لما قال عندكم في الإنجيل «أبي وأبوكم» وهذا مما تجوزه اليهود والعبرانيون، وذلك أنهم يقولون لربنا «ابونا» للاستعارة لا للحقيقة[١٢١].

وقد ورد في إنجيل يحنا ـ في الفصل التاسع منه ـ أن المسيح قال لليهود «أنتم تفعلون أفعال أبيكم»[١٢٢] معناه ربكم.

ولما كان الحق جل وعز أوجدنا بعد العدم وأخرجنا من صلب آدم جازت هذه العبارة عندهم وصحت هذه الإستعارة ونعني بذلك «ربنا». وإنما العجب فيمن يمثل الأمثال التي مثلتموها وبالترهات التي أوردتموها، والمجاز يبعدها عنها.

وأما قولكم في آخر هذا المثال أنه قادر: فهذا مما لا يجب الايمان به مطلقاً، وإنما يرجع في القدرة إلى التفصيل، ولا نقول بما يودي إلى التعطيل ويضل عن سواء السبيل.

ومن المحال والبهتان أن يقال رب الأرباب تجسّد في جوف إنسان وتموه بالقدرة ويصادم بذلك في أول كرة.

وإنما مثالكم يا معشر النصارى كمثل رجل صاحب كلب وعنده عظم، فقال الرجل لا أعطي هذا العظم إلا لأصدق صديق، فقال الكلب أنا أحق به على التحقيق. قال له وكيف ذلك؟ قال: أليس تغلق دوني بابك، وتنام مع أهلك. وتتركني خارج الباب أحرسك. فطول ليلي أمنع اللص عنك وأكف العدو عنك؟ قال صدقت ولكن قد بدا لي أريد أعطيه أعدا عدو لي. قال الكلب: فهو إذاً لي من غير منازعة. قال له الرجل: وكيف ذلك؟ قال لأنك معي على الخطر فلا تدري لعلي أقتل من يغير عليك من البشر. فلو جاء ولدك ولم أكن أعرفه لنهشته وقتلته.

قال: فاذا كنت كذلك فلا أعطيه إلا لأشجع من أراه. قال الكلب: فهو لي. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك إذا أرسلتني على من كان أقدمت عليه في

(١٢١) يوحنا ٨: ٤١.
(١٢٢) العدد ٢١: ٩.

المكان. قال الرجل: فما أعطيته إلا لأجبن الخلق. قال الكلب: فأنا ذلك. قال وكيف؟ قال: لأني أدخل بيتاً من البيوت وأنظر فيه ما أشتهيه من القوت فيقوم أصغر صبي يكون فيه فيقول إخسأ عن طعامنا يا سفيه فأهرب عنه خائفاً. فكذلك أنتم يا معشر النصارى: كلما رأيتم كلمة لم تصل إليها أفهامكم قلتم: هذا رمز وإشارة على الثالوث فيقلدكم فيها الأقسسة والرهبان أهل الكفر والطغيان.

الصليب وسبب تقديسه:

وأما الجواب عن الفصل الخامس في قولكم أن التوراة أشارة إلى الصليب أو ضرب الناقوس، وقولكم أنه لما كان بنو إسرائيل في التيه نزلوا في موضع فيه حيات، فكل من نهشته حية من تلك الحيات مات لساعته. فشكوا ذلك إلى موسى عليه السلام فأمر بعمل حية نحاس وجعلها على خشبة في وسط العسكر[١٢٣] (القصة الى آخرها) فنقول لكم:

هذا الفعل لا ينفعكم ولا يتمشى به مطمعكم، إذ ذاك معجزة ظهرت في ذلك الزمان على يد موسى بن عمران ولا اختصاص لكم بها لما في هذا من بعد المقاصد وحمل الكلام على المحمل الفاسد إذ يلزم أن يشترك في هذه القصة كل من صلب له مصلوب إذ لا اختصاص لكم هذه القصة دون غيركم، وإنما ربطكم القسيسون بقولهم: الخشبة الحربة وخشب الصليب قد حفظه عليكم القديسون وهو محفوظ بالقسطنطينية. ومع ذلك أنتم مختلفون في الخشبة التي صلب عليها المسيح، فلو كانت موجودة لاتفقتم على وصف واحد ترجعون إليه.

وإنما السبعون من اليهود هم الذين فعلوا لكم هذه القصة.

ولا بد أن نذاكركم. بما هو مسطور عندكم، فإن أنكرتموه فأسرعوا إلى محوه من كتبكم، وإن أقررتم به فيكفينا في الرد عليكم ما ادعيتموه وأن دينكم من شيىء لم تثبت صحته أخذتموه.

(١٢٣) كذا في الأصل.

ألستم تعلمون أن هلانا ـ الملكة الرومية اللعينة ـ جاءت إلى البيت المقدس إلى القسطنطينية وصحبت معها الأموال العظيمة وكان بها ملك اليونـانية. فجمعت اليهود بالبيت المقدس وحلفت بحياة أبيها: لئن لم تطلعوني على صلب المسيح لأقتلنكم ولأسبين ذراريكم وأنهبن بيوتكم مكان الصليب الذي تزعمون إلى العدم. فلما رأوا أنها لا ترجع عن قولها ولا تنفك عن ضلالها قالوا لها: أمهلي علينا أربعين يوماً نصوم ونصلي لعل الله يسمع من أحدنا فيورينا[١٢٤] إياه إما بوحي أو في نوم. فأصغت إلى مقالتهم وأجابت سؤالهم. فلما قرب تمام الأربعين تشاوروا فيما بينهم أجمعين وقالوا: كيف الخلاص من هذه الشدة خيراً من ما نقتل[١٢٥] عن آخرنا ونحن لا ندري أين المصلوب فكيف الخشبة؟

وكان رئيسهم الذي يرجعون إليه من بين هارون اسمه «أينهار» ويقال له «إينها» فقالوا له: تكفر أنت وحدك وتخلصنا من هذه الشدة خيراً من ما نقتل عن آخرنا. فامتنع عليهم. فألحوا عليه فأنعم لهم واتفق معهم بتغيير اسمه فسموه العازار. وتفسيره بالعبرانية «يا رب أعن» ثم قاموا ليلاً وحفروا في مزبلة وطمروا فيها ثلاثة أعواد: عودين على اسم «الصّينّ»[١٢٦]، والثالث على اسم المسيح بزعمهم، وعمدوا عند الصباح إلى الملكة وقالوا: أيتها الملكة العظيمة: إنا لم نزل نبحث في هذه المدة التي وقّتيها لنا عن الصليب ونخلف المشايخ المتقدمين فكلهم حلفوا لا علم لهم بذلك الذي إلا هذا الذي هو ربيبنا وابن ربيبنا فإنه امتنع من اليمين. ولا نشك أن عنده من ذلك الخبر اليقين.

---

(١٢٤) كذا في الأصل ولعلها: خير من أن.

(١٢٥) كذا في الأصل والصواب «اللصين».

(١٢٦) أين الدليل على ما زعموه فإن توراتهم وأناجيلهم لم يرد فيها شيء من ذلك. نعم ورد فيها أن الله أمر نوحاً أن يجمع من كل أنواع الحيوانات زوجين لكنه لم يسأله كيف يجمعها ولا أنه أمره بدق الجرس.

انظر سفر التكوين ٥: ٢٩ و٦: ٨. ولم يرد لفظ الجرس في العهدين: القديم والجديد إلا مرة واحدة وذلك في سفر زكريا ١٤: ٢٠ «في ذلك اليوم يكون على أجراس الخيل قدسٌ للرب والقدور».

وبما أن الجرس تجتمع له الشياطين وتنفر منه الملائكة فاللقاء الأسبوعي إنما هو حاصل بين شياطين الجن والأنس.

فقالت له الملكة: إن كان عندك منه علم فأخبرني فأنا أعطيك العطاء الجزيل وأحسن إليك الإحسان الطويل. وإن لم تفعل فقد أقسمت بأوكد يمين لأقتلنكم أجمعين. فقال لها: نعم، إن أجدادي المتقدمين علموا أن سينكشف عن الصليب فلما مات منهم واحد عهد إلى ابنه فأخبره بذلك، وأبي يوم مات عهد إليّ بالموضع الذي هو فيه، وكان بين هذه القصة وبين صلب المسيح على زعمكم سبع مائة وخمسة وثلاثون سنة على ما ذكره أهل تواريخكم.

ثم قال لها: ما أدلك على المكان حتى تصوموا ثلاثة أيام. فأقبلت وأصحابها عند ذلك على الصيام فلما كملت العدة أمرهم العازار أن يخرجوا حفاة ويكشفوا رؤوسهم ويمسحوا بالرماد وجوههم، وأقبل يتقدمهم إلى أن وقف على الموضع الذي دفنوا فيه الثلاثة الأعواد. وكانوا قد دفنوا خشبتين نخرتين، والأخرى كأنها قطعت من يومين. فلما أظهر لهم ذلك قال للملكة: هذا من كرامات المسيح فإن الخشبة على حالها باقية، وصليبا اللصين قد ظهر فيهما العفن، فإن الاربعة الأناجيل تقول أنه صلب بين لصين. وكذلك هو مسطور عندكم بزعمكم.

واتخذت الملكة ذلك اليوم عيداً. ولذلك يسمونه عيد الصليب إلى يومنا هذا، وقد كان على وجه اللعب بكم يا معشر النصارى من اليهود. وكان العازار قد قال لجماعة من اليهود: إن نحن أخرجنا الصليب كفنوا صبياً واجعلوه على نعش وقولوا له: إذا ضربته بالعودين الأولين لا يتحرك، وإذا ضربته بالثالث يتحرك، فقالوا: كيف عرف أيهم عود المسيح؟ فبينما هم في ذلك واذا قد اقبل النعش فقال لهم العازار: قدموا الميت. فضربه بالعودين فلم يتحرك وضربه بالثالث فصرخ وصرخوا بأجمعهم وقالوا إن الصليب أحيا الميت. وأنتم تعلمون يا معشر الناس أن بضرب خشبة الصليب يموت الحي. فكيف يقولون يا معشر النصارى هذا؟ وملك الروم يحملها على صدره ولا تمنعه من الموت؟ واتخذت الملكة تلك المزبلة كنيسة فهي تسمى إلى يومنا هذا: الكنيسة التي وجد فيها الصليب.

كيف اتخذ النصارى الناقوس:

وأما الجواب عن ضرب الناقوس فاحتجاجكم فيه بقصة نوح عليه السلام وقولكم إن في التوراة أن نوحاً عليه السلام لما دخل السفينة أمره الله تعالى بإدخاله السفينة من كل زوج اثنين فقال: إلهي وكيف أجمع الحيوان؟ فأمره الله تعالى أن يدق الجرس فتجتمع إليه الحيوانات. وقلتم إنه فعل ذلك فاجتمعت إليه[١٢٧].

فنقول لكم:

أما قصة نوح فمشهورة ومذكورة. وأما ضرب الجرس وجمع الحيوان بسببه فليس كذلك بل كان ابتداء ضرب الناقوس بزعمكم بعد هذا اجتماع البطاركة والمطارنة والأساقفة في المجمع الثاني بالاسكندرية، وكان الاجتماع بعد صلب المسيح بزعمكم بأربع مائة عام فقلتم إن اليهود يضربون البوق ليجتمعوا إلى كنائسهم فإن نحن تابعناهم عليه وفعلنا كما يفعلون عابونا بذلك وزعموا أنّا بهم مقتدون فملتم إلى ضرب الناقوس تحقيقاً إلى التفقر وكان الأولى بكم الضرب على الخشب لأنه أقرب إليكم في النسب.

إبطالهم الختان:

فإن قلتم نتبع في ذلك السنة فقد خالفتم الانبياء وبني هارون الأئمة باستحلالكم الميتة والدم والخنزير وهو مما أظهرتم فيه المخالفة والتغيير، وأبطلتم الختان وهو سنة إبراهيم أبينا عليه السلام[١٢٨] والاقلف باتفاق بني اسرائيل نجس[١٢٩].

(١٢٧) في سفر التكوين ٢١: ٤ «وختن إبراهيم إسحاق إبنه».

(١٢٨) في سفر أشعياء ٥٢ : ١ «يا أورشليم المدينة المقدسة لا يعود يدخلك في ما بعد أغلف ولا نجس» وأغلف أي الأقلف وهو غير المختتن . وفي سفر الخروج ١٢ :٤٨ « وأما كل أغلف فلا يأكل منه » .
وفي سفر إرميا ٩: ٢٥ «يقول الرب: وأعاقب كل مختون وأغلف» واليهود لا يزوجون بناتهم لأغلف ويرون ذلك عاراً (أنظر سفر التكوين ٣٤: ١٤) ومع أن بولس ـ مبدل النصرانية ـ يهودياً فإنه اعتبر الختان أمراً ثانوياً بل لا قيمة له مشيراً إلى أن العبرة ختان القلب وختان الإيمان لا ختان الغرلة (أنظر رسالته إلى أهل رومية ٢: ٢٨ ٣: ١ و ٣٠، ٤: ١٠ ورسالته إلى أهل غلاطية ٥: ٢).

(١٢٩) لوقا ١: ٥٩ وكذلك ٢: ٢١.

والإنجيل يشهد باختتان المسيح[١٣٠] ويدعون أنه نسخ بالمعمودية وليس ذلك بصحيح فإن داود عليه السلام دعا على كل من يدخل الهيكل وهو أقلف، وأثبت عليه أنه نجس.

وإنما «بولس» اليهودي ردكم عن الصواب. وكذلك كان المسيح يصلي إلى هيكل بيت المقدس. وحكي في الإنجيل كيف أخرج منه البغاة وقال إن بيت أبي بيت صلاة يدعى[١٣١]. ولم تزل الصلاة فيه إلى زمان أناسيوس المجوسي. فلم يزل يتوصل إليكم بالحيل لما رأى من قلة عقولكم من قولكم ربنا قتل وصلب فأحوجكم إلى أن نقلكم إلى الشرق وغيركم باعتقاده بالسجود إلى الشمس.

وكذلك القربان الذي غيرتموه. وما أحسن المثل الذي به مثلتموه. وقلتم هذا جسد المسيح وهذا دمه ثم تأكلونه وتشربونه، وكان الأولى لمن يعتقد ذلك أن يحرمه، ومن اشتد عداوته لأحد أكل لحمه وشرب دمه وأنتم تعتقدون محبته وتزعمون مودته فكيف تفعلون ما هو نقيض المحبة والمودة.

هل بشرت التوراة بالمسيح؟

وأما الجواب عن الفصل السادس في قولكم أن التوراة وكتب الأنبياء أشارت إلى مجيء المسيح فنقول لكم:

إن هؤلاء الذين ذكرتموهم كانوا من بني إسرائيل وإليهم بعثوا وبلسان العبراني تكلموا، وأنتم محتاجون إلى نقل لغاتهم. فكل ما لا تعرفون له تفسيراً ولا تجدون إلى استخراجه سبيلاً تقولون هذه إشارة ورمز إلى مجيء المسيح. وما لكم في نبواتهم بحمد الله دليل، ولا تجدون من كلامهم ما تأخذونه لكم غير التقويل، وكان مثالكم في تفسير اللغة العبرانية كالأعمى يقول للبصير: تعال معي حتى أدلك على الطريق. وكذلك الغريب مع صاحب المنزل، فلا يكون أعرف منه بما في منزله.

(١٣٠) متى ٢١ : ١٣ «بيتي بيت الصلاة يُدعى».
(١٣١) تثنية ١٨ : ١٥.

وإنما أوقعكم في هذه الحيرة والتخليط اليهود حين تلاعب بكم السبعون منهم، وأضلوكم عن السبيل وعرّفوكم للقال والقيل، فإنكم أخذتم منهم أشياء على وجه التقليد فغيّروا لكم وبدلوا، واتبعتموهم على جهلكم والأقانيم، فما وصلت إليكم فيما تظنون أنه الحق الذي في أيديكم إلا من بعد المسيح بنحو من خمس مائة عام على يد «نلوما» قيصر ملك الروم الذي كان ملك رومية الكبرى والقسطنطينية ومصر وبلاد الشام فإنه جمع من علماء اليهود ألف رجل من أعلم من كان في عصره ومملكته وقال لهم: اختاروا منكم سبعين رجلاً كما اختار موسى من قومه لميقات ربه. ففعلوا ذلك. فقال لهم: أريد أن تنقلوا إلي جميع الكتب التي عندكم بالعبرانية إلى لغتي، وإن لم تفعلوا أمرت بقتل جميع اليهود الذين في مملكتي، وتكون أموالهم ليونان. فلما رأى السبعون أن لا بد له من ذلك قالوا له: أيها الملك تفعل أمرك ولكن في كتبنا اسم الله الأعظم لا يمكننا تغييره أو ليس لكم أحرف في لغتكم مثلها؟ فقال لهم: وما معناه؟ قالوا يا رب.

فقال لهم: إذا وصلتم إلى هذا الاسم فاكتبوه بالرومي كرباً، وكرباً بلغة يونان « يا رب ».

و «قل يا » بلغة العبرانية هي « اللعنة » . فكتبوا لكم « قل يا ليسون » وعنوا بـ« ليسون » يسوع ، فلم يمكنهم القول « قل يا يسوع » فأبدلوا حرف العين بالنون فقالوا « قل يا ليسون » وأرادوا بذلك لعنة يسوع .

فأنتم بجهلكم وتقليدكم لهم في نقلهم تلعنون مسيحكم في كل صلاة لكم سبع مرات إذ لا يجوز لكم صلاة إلا بقولكم سبع مرات «قل يا ليسون».

وغيروا لكم في الزبور أشياء كثيرة فلا بد أن نشير منها إلى شيء ليكون دلالة على صحة قولنا : ألستم تقرون أن إلهكم صلب وقتل في القدس وقبر فيه؟

وتعتقدون إلى يومنا هذا أن قبره في بيت المقدس وأن النور ينزل عليه في كل يوم سبت الذي يسمونه عيد الفصح؟

ونحن نعلم ـ وكل من وقف عليها من جميع الناس أنه ليس هو وإنما هي نار محرقة يصنعها لكم القسيسون بالخيط النحاس ودهن البلسان لعلمه بكم

أنكم كالصبيان تنخدعون بالهذيان. وهذا من جملة ما زاده لكم السبعون في المزمور عن القبر.

أليس يا معشر النصارى تدعون لرب السماء في كتابكم وتقولون «أيوس أوفاووس أيوس أسكريوس أيوس أثانا بولس أليسون إيماس» ومعنى هذا القول «قدوس الله قدوس حياة قدوس لم يمت ولا يموت ارحمنا».

فكيف الجمع يا معشر النصارى بين الضدين؟ يقولون «لم يمت ولا يموت» وتقولون قتل وصلب وقبره في البيت المقدس.

فإن قلتم أن الناسوت مات لا اللاهوت وقد وقع بينكم هذا الإصطلاح فكذلك نقول: وجميع البشر فإن الأجساد تموت منهم لا الأرواح. والدليل على بطلان قولكم إن في المزمور الثالث عشر ملعون كل من يدعي ويعتبر الإله. وكل يوم تقرأون ذلك في كنائسكم. وليس عند اليهود في الزبور الذي عندهم هذا الهذيان أصلاً، وهم يكذبونكم في هذا النقل.

وقولكم: اجمعنا نحن واليهود على مجيء المسيح. كيف تدعون الإجماع في مجيئه وأنتم لكم في النزول خلاف، فمنكم من يقول: ينزل قبل يوم القيامة ويجيء كما قال أهل الإسلام. ومنكم من يقول: لا، نزوله إلى يوم القيامة وهو يوم الحساب.

ثم نقول لكم: اسم المسيح ينطلق عليه حقيقة أم مجازاً؟

فإن قلتم حقيقة فممنوع لأن اليهود إنما يطلقون هذا الاسم على من كان ممسوحاً بالدهن الذي أمر الله بعمله لموسى عليه السلام في تيه بني إسرائيل. وكان كل ملك من ملوك بني إسرائيل بعد موسى وكل إمام من بني هارون يمسحون بذلك الدهن. وكان يسمى كل من ادهن به مسيحاً لأجل مسح رأسه بذلك الدهن. وهذا مسطور عندكم وعند اليهود بلا خلاف بينكم، فكيف تدعون الحقيقة في تسميته مسيحاً وأنتم إلى يومنا هذا تدهنون ملوككم وبطاركتكم وأساقفتكم بدهن وتسمون الجميع «خرستوسن» ومعناه: المسيح المدهون. وكل

واحد من هؤلاء مسيح بزعمكم ويشتركون في ذلك الحجر لأن يعقوب عليه السلام لما مات في بيت «إيل» مسح الحجارة التي كانت تحت رأسه وسماها «بيت إيل» وهي بالعبرانية «بيت الله». وعلى تلك السنة يمسحون البيع والكنائس قبل أن تجب الصلاة فيها.

ويسوع المسيح لم يثبت عندكم ولا عند اليهود أنه مسيح قط، فمن أين سميتموه هذا الاسم، والأناجيل التي عندكم لم تسمه بذلك وإنما اسمه يسوع.

البشارة بالمصطفى ﷺ:

وأما قولكم إن التوراة أشارت إلى مجيء المسيح بقول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: «سوف يقيم لكم ربكم نبياً من أخيك فاسمعوا منه كما تسمعون مني»[١٣٢]. وقلتم هذه إشارة إلى المسيح. وهذا التأويل ليس بصحيح على قولكم فإن في هذا البسوق قال لبني إسرائيل أقيم لهم نبياً. والمسيح عندكم إلّه، والإلّه غير النبي.

وقال «من إخوتهم» ولم يقل من أنفسهم، ويسوع المسيح من بني إسرائيل. وإنما إخوة بني إسرائيل بنو إسماعيل. وإنما هذه إشارة إلى نبينا محمد ﷺ لأنه من بني إسماعيل، وهو الذي قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام «قد سمعت وقبلت دعاك في إسماعيل وباركت فيه وكثرت نسله بمادماد[١٣٣] وهو محمد بحساب حروف المعجم، وذلك أن عدد حروف محمد اثنان وتسعون حرفاً. وكذلك «بمادماد» عدد حروفه اثنان وتسعون حرفاً أيضاً. «واثنا عشر شريفاً يخرج من نسله وتجتمع الأمم»[١٣٤] فصدق الله العظيم في قوله ووعده لإبراهيم وبعث النبي من نسله وذريته.

وبعثه رحمة ورأفة لتوحيد الله تعالى إذ امتلأت الأرض من توحيد الله تعالى وتقديس اسمه شرقاً وغرباً ووعراً وسهلاً.

---

(١٣٢) سفر التكوين ١٧ : ٢١. والنص العبري لهذه العبارة هو «هنّي بيرختيي اوتو وهفريتي اوتو وهربيتي اوتو بمادماد» لكن الكلمة الأخيرة قد حرفت مؤخراً إلى «واد».

(١٣٣) هذه الجملة تتمة للفقرة السابقة.

(١٣٤) دانيال ١٢ : ١٢.

ويشهد لهذا التأويل قول دانيال عليه السلام في نبوته إذ قال «طوبى لمن يكون في أيام النبي الذي يجيء بعدي لألف وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين سنة»[١٣٥] فهذا هو الذي بشر به دانيال النبي ﷺ إذ من زمان دانيال إلى بعثة نبينا ﷺ هذه المدة سواء بسواء، وهو الذي بشرت به الأنبياء صلوات الله عليهم، وهو الذي بشر به داود عليه السلام وبأمته إذ قال في مزمور مائة وأربعة وثلاثين «أوثان الأمم فضة وذهب أعمال أيدي الشر لهم أفواه ولا يتكلمون، وأعين ولا يبصرون، ولهم آذان ولا ينصتون وليس في أفواههم روح يكون شبههم الذي يصنعونهم وكل المتوكلين عليهم يكون يا رب أمة يذكرون اسمك من حناجرهم وصدورهم بحروف الحلقيات»[١٣٦] وما تعرف أمة يذكرون الله تعالى بحروف الحلقيات غير أمة محمد ﷺ، فإنهم صنفوا في الحروف ومخارجها تصانيف فقالوا منها ما يخرج من آخر الصدر الأعلى وما يليه من الحلق والفم إلى أطراف الشفتين وإلى الخياشيم لا يخرج حرف من مخرج غير مخرجه.

ولم يوجد هذا في لغة من اللغات غير لغة العرب خاصة. وجميع الأمم لا يقدرون على ذلك ولا لهم حروف الحلقيات، ولا يخرجوها من مواضعها.

ثم قال في هذا المزمور «وتكون السيوف القاطعة في أيديهم لينتقم الله من الكفار وعبدة الأوثان، ويردون الناس لعبادة صانعهم وخالقهم»[١٣٧] وهذه الأوصاف كلها موجودة في النبي ﷺ وفي أصحابه وخلفائه الراشدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وأما الجواب عن البسوق الآخر من التوراة الذي احتججتم به وهو «جاء الله من سيناء وأشرف من الساعير واستعلن من جبال فاران»[١٣٨] وقلتم أن هذا من جملة الإشارات لمجيء المسيح لأن الساعير جبل على الناصرة وأن المسيح تربّى

(١٣٥) المزامير ١٣٥: ١٥، وكذلك مزامير ١١٥: ٤.
(١٣٦) هذه العبارة الأخيرة غير موجودة في المزامير ولا في غيرها.
(١٣٧) قارن مزمور ١٤٩.
(١٣٨) سفر التثنية ٣٣: ١.

في الناصرة فنقول لكم لا يستقيم هذا الكلام على أصلكم لأن المسيح عندكم إلّه فكيف يحتاج الإلّه أن يتربى في قرية إلى تربيه.

ثم تتمة البسوق شاهدة عليكم مبطلة للتأويل الذي تأولتموه فإنه قال في هذا البسوق «واستعلن من جبال فاران»، وفاران هو جبل عرفان ونحن كذلك نقول استعلن الله منه إذ في كل عام يهللونه ويكبرونه ويسبحونه عليه فقد استعلن الله منه بنبوة محمد ﷺ إذ نبوته استعلنت من تلك الأرض إذ يذكر الجبل، والمراد به البلد حوله.

ويشهد لهذا التأويل ما قال حزقيل[١٣٩] النبي في نبوته «قولوا لبنات صهيون هوذا راكب الحمار جاء وخلفه راكب الجمل».

ومعلوم أن صهيون جبل على القدس. والجبل فما له بنات، وأراد بذكر الجبل بنات تلك البلد التي فيها الجبل وإنما كان يستقيم لكم يا معشر النصارى أن نقول: هذا البسوق يدل على مجيء ثلاثة أنبياء. ويكون معنى جاء الله من سيناء: إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء. وأشرف على ساعير: إنزاله الإنجيل على المسيح بأرض الخليل لأن المسيح كان يسكن في ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة. وباسمها سمي من اتبعه: نصارى.

واستعلن من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ﷺ بجبال مكة.

فهذا دليل تثليث الكتب المنزلة على الأنبياء الثلاثة صلوات الله عليهم: التوراة، والإنجيل، والقرآن. فهذا هو التأويل الصحيح. لا على تأويلكم الفاسد. وإنما مثلكم يا معشر النصارى مثل إنسان فسد مزاجه، فإذا سمع طبيباً يصف شيئاً مما يضره لفرجه لعله يبرأ يقول في نفسه هذا لمرضي علاجه. ولا يعرف المسكين: هل الدواء حار أم بارد؟ وهل هو رطب أم يابس؟ فيستعمله ويقتل نفسه.

---

(١٣٩) نسب المصنف هذه العبارة سابقاً إلى ارميا والآن إلى حزقيال وليست في كليهما وإنما في سفر زكريا ٩: ٩ وليس فيه ذكر راكب الجمل، وإنما ذُكر ركاب الجمال وركاب الحمير في أشعيا ٢١: ٧ وانظر يوحنا ١٢: ١٥.

فكذلك أنتم يا معشر النصارى كلما سمعتم حرفاً واحداً في الكلام الكثير فلا تتأملون ما قبله ولا ما بعده حتى تعرفوا[١٤٠] معناه، ولما قاله الذي أنشأه يقولون: هذه إشارة ورمز لمجيء المسيح. وهذا طريق كل من سلكه أو ولجه مهلكة.

وأما الجواب عن نبؤة شعيا النبي الذي تعلقتم بقوله في نبوته «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويسمى عمانويل»[١٤١] وقلتم هذه إشارة ورمز لمجيء المسيح فنقول لكم:

هذا النص لا تسلمه اليهود أنه منصوص كذا، وإنما يقولون أن أشعيا قال في نبؤته «علما» وهي بلغة العبرانية «جارية» ومن هاهنا دخل عليكم الإنحراف والتخليط إذ اسم الجارية ينطلق عندهم على الصغيرة: ثيباً كانت أو بكراً. فإذا كنتم تنقلون شيئاً على غير وجهه فكيف تستدلون به؟

وهذه القصة إنما جرت على سبب عند بني إسرائيل، ونحن نبين سببها: وذلك أن شعيا النبي عليه السلام قال ذلك لآحان (ملك الفرس) على سبيل آية له ليحقق عنده ما آتاه الله من الرسالة. وكان آحان ملكاً في زمن شعيا النبي. وكان قد حاصره أعداء الله في البيت المقدس، وكان فيهم من العدد والكثرة بحيث علم المؤمنون من بني إسرائيل أنهم لا طاقة لهم بهم إلا بنصر ذي العزة والقدرة. ففزع آحان الفزع الأعظم ولجأ في أمو إلى الملك الأكرم فحاصروه مدة حتى كادوا يكونون غالبين فتعطف المولى عليهم لما دخلوا في جملة التائبين، فأوحى الله تعالى إلى شعيا النبي عليه السلام أن امض إلى آحان وقل له لا تخف من الكفرة عباد الأصنام فأنا أسلمهم إلى يدك لتعلم أني قادر على تسليم الجبابرة بأيدي الضعفاء، وقصم رقاب الفراعنة بأيدي الأذلة. فلما بلغته شعيا رسالة ربه رأى في وجهه كأنه لا يصدقه ذلك التصديق فقال له أطلب لك بقولي آية حتى آتيك بها وأجعلك تراها حتى تعلم صدق ما أتيتك به من الرسالة، وكان لآحان

---

(١٤٠) في الأصل: تعرفون.
(١٤١) أشعيا ٧: ١٤.

جارية كان لها محباً وكان دعا الله أن يرزقه منها ولداً ذكراً فلما علم النبي بالوحي ما أضمره الملك في نفسه قال له: هوذا الجارية تلد ابناً وتسميه عمانويل ـ أي الله يكون معنا وينصرنا على الكفار الحاضرين، فلما أبصر الآية الملك جمع عسكره وعلم أن النصر من عند الله، يؤتيه من يشاء، فهزمهم وقتل منهم ما لا طاقة لعددهم ولا حاجة لحصرهم، وهذا قبل أن يولد المسيح لم يكن لبني إسرائيل ملك في عصره وما ولد المسيح إلا واليهود تحت طاعة ملوك الروم وفي يوم ولد المسيح كان أُغست قيصر الرومي ملك بيت المقدس ومصر والشام.

وأما احتجاجكم بنبوة دانيال النبي عليه السلام بقوله «إذا جاء مقدس الأقداس يعني مطهر الأطهار»(١٤٢) وقلتم إن هذه إشارة لمجيء المسيح فلا يستقيم لكم هذا من أوجه:

أحدها أن دانيال إنما نص على النبي الطاهر، وأنتم تزعمون أن المسيح إله وابن إله، والإله أعظم من النبي.

وأيضاً فإنه قال في نبوته: إذا جاء النبي الطاهر ينقطع المسح بالدهن من ملوك بني إسرائيل وكان بعد عيسى الأمر والنهي في بني قريظة والنضير وأهل خيبر ولم ينقطع الأمر والنهي منهم حتى بعث نبينا محمد ﷺ.

الآخر: أنكم تنقضون هذا بقولكم وافترائكم وتقولون أن في الأناجيل الأربعة «ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان»(١٤٣) ويقولون لما سأل أحبار اليهود تلاميذ عيسى عليه السلام وهم الحواريون وقالوا لهم «ما بال معلمكم يأكل بغير غسل يديه فقال لهم عيسى عليه السلام ـ بزعمكم ـ الذي يدخل الفم لا ينجس»(١٤٤) فلا يتمشى لكم الاستشهاد بنبوة دانيال. واتضح أن دانيال إنما عنى بقوله نبينا محمداً ﷺ وهذا هو الصحيح إذ هو أمر في شريعته التي بعث بها بالطهارة أكثر من جميع الشرائع، إذ الطهارة والنظافة غلبت في شريعته وغلب على جميع الشرائع، فهو النبي الطاهر بالحقيقة وهو الذي قيل في أمته «يؤمنون

(١٤٢) تقدم بيان هذا النص وأني لم أجده في سفر دانيال.
(١٤٣) متى ١٥: ١١، مرقس ٧: ١٥.
(١٤٤) متى ١٥: ١ ـ ١١، مرقس ٧: ٥ ـ ١٥.

أطرافهم الصلاة» بخلافكم يا معشر النصارى فإن قسيسكم يزني بالليل يتغـوط ويبول ويدخل المذبح وكذا بطريككم تعتريه الجنابة والنجاسة ويدخل المذبح فأين الطهارة عندكم فنحن والحمد لله كما قال عيسى عليه السلام في الإنجيل أكمد البار قليط[١٤٥] يعلمكم كل شيء[١٤٦] تختلفون فيه وفرق لنا بين الطاهر والنجس وبين الحلال والحرام.

وأما الجواب على احتجاجكم بنبوة شعيا في قوله «سوف يولد لنا مولود ويوهب لنا ابن» فأخطأتم في نقلكم وإنما قال «ويبعث الله نبياً اسمه مادياً عجيباً مدبراً ماحياً طائفاً جباراً رئيس الإسلام»[١٤٧] وتكون علامته بين كتفيه. فنقول لكم: هذه الأوصاف كلها إنما اجتمعت في النبي محمد ﷺ. والدليل على أنها اجتمعت فيه أنه إنما سمي ماحياً لأنه محى الكفرة من عبّاد الأصنام، واهتدى على دينه أكثر العالم. ومدبراً لأنه دبر العميان عبّاد الأوثان وطاعة الرحمن[١٤٨]. وطائفاً وجباراً لأنه كان ﷺ أخبر الخلق عـلى المشركين والكفـار وأرحمهم للمؤمنين والموحدين الأبرار. ورئيس السلام ورأس الإسـلام على ملة إبـراهيم عليه السلام، وكانت علامته بين كتفيه وهو خاتم النبوة. وهذا مشهور من أمره. وهذه الأوصاف كلها ما اجتمعت في أحد من المخلوقين إلا في نبينا محمد ﷺ.

وقد بشر شعيا به في موضع آخر من نبوته إذ قال هوذا عندي ينجح ويرتفع وتخرج نبوته مثل البرق ويكون اسمه بمادماد[١٤٩]. وقد قدمنا أن بماماد بحساب الجمل اثنان وتسعون. ومحمد أيضاً اثنان وتسعون. وقد خرجت نبوته مثل البرق.

وأما أنتم يا معشر النصارى فقد وصفتم مسيحكم بضد هذا في أناجيلكم فإن أناجيلكم اتفقت على أن المسيح قال: «من لطمك في خدك فحول له الوجه

---

(١٤٥) كلتا: أكمد والبار قليط محذوفة ومحرّفة من الطبعات الحديثة وقد أثبتوا مكانها كلمة المعزي.

(١٤٦) يوحنا ١٤: ٢٦ ولا توجد فيه الكلمتان الآخيرتان «تختلفون فيه.

(١٤٧) سفر أشعياء ٩: ٦ وليس فيها طائفاً ماحياً مادياً. وأما كلمة الإسلام فلا يستبعد أن تكون قد حذفت منها الألف الأولى فبقيت «السلام».

(١٤٨) كذا في الأصل. ولعلها: إلى طاعة الرحمن.

(١٤٩) لم أجدها

الآخر وهذا من التذلل. والقضيب الذي قلتم بزعمكم أنه ضرب به على رأسه والبصاق في وجهه قدام رئيس اليهود فهذه كلها بزعمكم اجتمعت في ذليل لا في جبار وسميتموه خروف الله الذي يحمل خطايا العالم فإن جبروت للخروف. وأعجب من هذا أنكم تقولون أن اليهود أخذوه بزعمكم للصلب ولم يرد عن نفسه وصلب على وجهه القهر والغلبة فخرج وامتنع أن يكون جباراً.

وأما وصفه بالتدبير فأنتم القائلون بما جرى عليه من المشاق العظيمة بقول الذي صلب معه بزعمكم إذ قال له خلص نفسك وخلصنا معك. فمن لا يمكنه تدبير نفسه فكيف يدبر غيره؟ فخرج عن أن يكون مدبراً.

وأما وصفه بأنه ما حي فقد أبطلتموه بقولكم أنه قتل وصلب ومحي من ديوان الحياة. وأما وصفه بأنه رئيس السلام فاطلبوا في إنجيل مرقس جوابكم فإنه قال فيه: لم أجيء لألقي السلام في الأرض بل جئت لألقي السيف والحرب[١٥٠] فبطلت هذه الأوصاف كلها من مسيحكم وثبت لنبينا محمد ﷺ.

وأما الجواب عن نبوة ارميا عليه السلام في قوله قولوا لبنات صهيون هوذا راكب الحمار جاء وخلفه راكب الجمل[١٥١]. وقد قلنا إن صهيون جبل على القدس، والجبل فما له بنات. فأراد بذكر الجبل بنات تلك البلد الذي فيه الجبل، فنقول إنه أراد المدينة أعني مدينة الرسول وبيانه أورشليم بالعبرانية هي مدينة السلام إذ اسمها الحقيقي هورشليم وتفسير «وشليم» يروا وابصروا مدينة السلام، و ما مدينة بالحقيقة غير يثرب إذ هي المدينة التي خرج السلام منها أي هو الاسلام والمسلمون وهي المدينة التي تسمى مدينة الرسول. وصهيون بالعبرانية بالاسم الحقيقي صيون بغير إثبات الهاء. وتفسير صيون الموضع القليل الماء. فكأنه قال النبي ارميا عليه السلام: قولوا لبنات لموضع القليل الماء هو ذا راكب الحمار وراكب الجمل وقد ثبت بالتواتر أن النبي ﷺ كان له حمار يركبه في أكثر أوقاته اسمه عفير وكانت له ناقة يركبها اسمها العضباء. فأراد ارميا النبي عليه السلام نبينا محمد ﷺ، إذ هو قد ركب الحمار واشتهر به وركب الجمل

---

(١٤٠) متى ١٠: ٣٤، لوقا ١٢: ٤٩.

(١٥١) تقدم بيان هذا النص. انظر ١٢٩.

واشتهر به، فكأن ارميا النبي قال: قولوا لبنات الموضع القليل الماء وهو صيون: هوذا نبيك جاي[١٥٢] إليك راكب الحمار وراكب الجمل. فإن قالت النصارى إن المسيح ركب الحمار يوم الشعانين فنقول كيف ركب الإله الحمار؟ فإن قالوا إن المسيح نبي وليس بإله فإنه يتمشى لهم ويكون ارميا عليه السلام أخبر عنه وعن نبينا محمد صلوات الله عليهما أنه يأتي بعده كما قال شعيا النبي في نبوته: قيل لي قم[١٥٣] فانظر ماذا ترى لتخبره قلت أرى راكبيْن مقبليْن أحدهما على حمار والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها»[١٥٤] إخباراً عن المسيح وعن نبينا محمد صلوات الله عليهما.

وإنما أنتم يا معشر النصارى سددتم على أنفسكم باب الإستدلال بتقليدكم للحمار والجمال في قولهم إن المسيح إله، والإله يتقدس ويتعالى عن ركوب الحمار، فلو أنصفتم وعبدتم الواحد القهار وتركتم عبادة صاحب الحمار، وقلتم إن المسيح نبي كسائر الانبياء، وأن أرميا أخبر عن نبيين يأتيان أحدهما خلف الآخر لكان هذا كلاماً صحيحاً.

وأما الجواب عن احتجاجكم بالمزامير التي فسرها لكم قديسكم الراهب سانقليوس من اللغة اليونانية الى اللغة العربية وقال إن عدة المزامير خمسون ومائة وليست على الكمال لداود عليه السلام ولا من إنشائه فإنه دس فيها تخليطاً عظيماً وفسرها تفسيراً سقيماً.

وقالت اليهود: الزبور خمسة أسفار مثل التوراة الذي يختص بداود إثنان وسبعون مزموراً فالسفر الأول من المزامير إلى تمام الأربعين والسفر الثاني من الحادي والأربعين إلى آخر الحادي والسبعين. والسفر الثالث من أول الثاني والسبعين إلى انقضاء ثمانية وثمانين. والسفر الرابع من أول التاسع والثمانين إلى آخر الخمسة بعد المائة. والسفر السادس من أول الستة ومائة إلى آخر المزامير. فهذه جملة المزامير. غير أن السبعين من اليهود دسوا لكم فيها براسيق فمن ذلك

---

(١٥٢) كذا في الأصل.
(١٥٣) كذا في الأصل.
(١٥٤) أشعيا ٢١: ٧.

أنهم لعنوا وحرموا في المزمور الثالث عشر كل من فتح فمه بالقبر لأنهم كانوا يقولون في ذلك الزمان أعني النصارى قبل الإله في القدس، ففزع السبعون من الروم فغمغموا عليهم فقالوا ملعون كل من فتح فمه بالقبر، بدّدهم يا رب واسخط عليهم لأنهم عصوك. ويعنون بذلك الروم. فهذا من جملة التلبيس الذي لبسّته عليكم السبعون من اليهود. فنرجع إلى احتجاجكم بالمزامير ونجيب عنها بعون الله وقوته فنقول:

أما الجواب عن المزمور الأول الذي قال فيه «طوبى للرجل الذي لم يسلك في طريق الخاطئين ولم يجلس مع الآثمين وفي مجالس الجهلة لم يجلس ولم يكن له هوى بل كان هواه وفي شريعته لهدى النهار والليل ويكون ذلك الرجل كشجرة مغروسة في سواقي المياه ليعطي ثمرها في كل أوان، ولا يسقط ورقها عاجلاً. وكلما يصنعه يكون صالحاً، ليس كذلك الخاطئين، ليس كذلك لكنهم مثل الشوك الذي تهب به الرياح، فكذلك لا يقوم في نوم الحكم الصالح مثل الطالح ولا الخاطىء مثل الزكي»(١٥٥). فهذا النص المزمور الأول لا كما حرفتموه. وهذه كلها صفات نبينا محمد ﷺ وهو شهادة له لا كما توهمتموه.

وأما الجواب عن المزمور الحادي والسبعين(١٥٦) الذي زعمتم أنه للمسيح وليس ذلك بصحيح بل إنما دعا فيه لرئيس السلام ورأس الإسلام محمد النبي ﷺ إذ قد اجتمعت فيه هذه الأوصاف كلها، إذ قال في هذا المزموز «ليدين الشعوب بالعدل، والمساكين بالقسط»(١٥٧) وأي عدل وأي قسط أعدل وأقسط من توحيد الباري سبحانه وتعالى ذكره، إذ هو الدين الحق المبين توحيد رب العالمين. وأي مساكين أعظم ممن كان يعبد الحجر والخشب أو يعبد إلها يُقتل ويُصلب. فأخذت الجبال سلامه وهو دين الاسلام والاكام عدلاً، وخلص بني الفقراء من فقر الآخرة لا من فقر الدنيا إذ الانبياء عليهم السلام ما كان عندهم فقر الدنيا فقراً بل كان فقر الآخرة عندهم هو الفقر العظيم.

---

(١٥٥) مزمور ١: ١ - ٦.
(١٥٦) الصواب أنه الثاني والسبعون.
(١٥٧) اللفظ كما في المزمور: «يدين شعبَك بالعدل ومساكينك بالحق».

ويذل الباغي: وهو الذي كان ﷺ يذل البغاة بقوله: «أمرت أن أقاتل بغاة الكفر حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا بذلك دماءهم وأموالهم»[158].

ثم قال: «وتدوم نبوته مع الشمس ـ وقبل القمر ـ إلى حقب الأحقاب تنحدر مثل المطر على جز الغنم ومثل القطر الذي يقطر على الأرض». وكذلك جاءت نبوته ﷺ ما كان ألين جانبه للمسلمين المؤمنين والصالحين، وأعداء الله الكفرة يلمسون بين يديه التراب بضرب أعناقهم ورميهم في التراب. وخرت الحبشة بين يديه.

ثم قال: «وكثرة السلامة إلى أن يضمحل القمر ويتسلط من البحر إلى البحر ومن الأنهار حتى أقطار الأرض، ملوك الأرض يهدون إليه القرابين وتسجد له جميع ملوك الأرض وتنقاد له. يربي الفقير والمسكين ويخلص أتعس الفقراء، ويعيش ويعطي من ذهب العرب، ويصلون من أجله في كل وقت: النهار كله يدعون له وتكون ثمرته أزهر من البنان، وهذه الأوصاف كلها موجودة في النبي محمد ﷺ.

وقول داود: «تخر الحبشة بين يديه» كذلك كان. خرت الحبشة بين يديه وإلى يومنا هذا تقرب ملوك العرب القرابين لله تعالى في بيت الله الحرام. وقد سجد لله تعالى بين يديه أكثر ملوك الأرض وتعبدت الأمم: العرب والعجم لله سبحانه وتعالى على يديه.

ربّى المسكين والفقير، وخلص أنفس الفقراء وذلك كله بقولهم وإقرارهم بوحدانية الله تعالى، وعاش أفضل العمر، وهو ما بين الستين إلى السبعين، ويصلون في كل وقت من أجله لله تعالى والنهار أجمع يباركونه ﷺ وأينعت ثمرته توحيداً لله تعالى أفضل من اللبنان والكرمل جميعاً.

(١٥٨) أخرجه البخاري في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ومسلم (٢٢) والترمذي (٢٦١٠) والنسائي ٥/١٤ وأبو داود (٢٦٤٠) والدارقطني ٢/٨٩ و ١/٢٣٢ وابن ماجة ٢/٣٤٧ والحاكم ١/٣٨٧ وأحمد في المسند ١/١١، ٣٥، ٤٨ و٢/٣٧٧، ٤٢٣، ٥٠٢، ٥٢٧ و٣/٣٠٠ و٣٣٢ و٤/٨ والبيهقي في سننه ٦/٣٣٦ و٧/٣ و٨/١٩ و١٣٦ و١٧٦، ١٩٦ و٩/٤٩، وانظر مجمع الزوائد ١/٢٥. ولم أقف على لفظ «بغاة الكفر». وإنما الرواية المعروفة «أقاتل الناس».

وقال داود: «ويزهرون من المدينة كعشب الأرض»، ومنهم من المدينة من يثرب كعشب الأرض من المهاجرين والانصار. ثم قال داود: «ويكون اسمه مبارك إلى الابد يثبت اسمه ما دامت الشمس ويتبرك به أكثر قبائل الأرض، مبارك الرب إله إسرائيل، تبارك الله رب السموات والأرض، الصانع العجائب وحده، واسم مجده مبارك إلى الابدِ وإلى أبد الأبد ويمتلىء الأرض من تسبيحه لتكوين التكوين. وهذا هو آخر المزمور.

وهذه الأوصاف كلها تكملت في النبي محمدﷺإذ هو ملأ من تسبيح الله وتقديسه وتهليله وتوحيده وتمجيده الأرض بطولها والعرض.

ثم نقول لهم يا معشر النصارى: ما تفسير إسرائيل بالعبراني عندكم؟ هل تفسيره إلا إيس رائيل وهو رأي الله إذ بالعبراني اسم «إيس» رجل. ورأي من الرؤية. وإيل اسم الله تعالى. وأيّ رجل رأى الله سبحانه غير نبينا محمد ﷺ ليلة أسرى به؟

فمن زعم أنه رآه بعيني رأسه فمستقيم(١٥٩) ومن زعم أنه رآه بعيني قلبه فمستقيم أيضاً.

والتوراة والإنجيل ما أثبتا لأحد الرؤية، إذ موسى عليه السلام طلب الرؤية من ربه فقال له لن تراني.

وفي إنجيل يوحنا عن المسيح أنه قال: «الله لم يره أحد قط»(١٦٠) فما بقي اسرائيل غير النبي محمد ﷺ.

إبطال أدلتهم العقلية في ألوهية المسيح وردّها

وأما الجواب عن الفصل السابع في اعتقاد كل فريق منهم في الإله من طريق المعقول فنقول للذين اعتقدوا التثليث وقالوا باسم الاب والابن وروح القدس إله واحد ـ وزعموا أن القديم ثلاثة أقانيم جوهر واحد ـ: إذا زعمتم أن

(١٥٩) الراجح من أقوال أهل العلم أن النبي ﷺ رأى ربه بقلبه كما دلت عليه روايات ابن عباس.
(١٦٠) يوحنا ١: ١٨.

المسيح بن الله وأن الكلمة قد اتحدت به وليست النبوة، والاتحاد أمراً شاهدتموه فيمكنكم فيه ادعاء البيان ولا متوهما يعلم بضرورات العقول، فإن الأب لم يثبت العلم به ضرورة فكيف تدعونه في الإبن؟ وما لا يدرك بالعيان ولا يعلم بالضرورة لم يكن إلى إثباته سبيل إلا أن يقوم عليه دليل، فما دليلكم على اثبات ما ادعيتموه من ذلك؟

ثم نقول: إذا اعتقدتم أن القديم ثلاثة أقانيم جوهر واحد لا يخلو قولكم: إما أن تكونوا أخذتموه من طريق التوقيف والسماع أو من طريق المعقول والقياس.

فإن قلتم أخذناه من التوقيف من نص الأناجيل فكان يلزم أن لا يختلفوا في ذلك لأن النصوص لايختلف أحد فيها، ممّن يعتقد ذلك المذهب. وقد خالفكم في ذلك آريوس وزعم أن ما(١٦١) قلتموه من التثليث مستحيل في المعقول.

وإن قلتم أخذناه من طريق المعقول والقياس فما الذي يوجب أن يكون الباري جل جلاله ثلاثة أقانيم دون أن يكون أكثر من ذلك؟ وما الموجب لحصره في ثلاثة؟ وهل علمتم هذا الحصر بضرورة العقل أم بنظر العقل؟

فإن قلتم بضرورة العقل فيلزم(١٦٢) أن لا يختلف فيه العقلاء. بل قولكم مناقض لضرورة العقل فإنكم تجعلون الثلاثة واحداً.

وإن قلتم أخذناه بنظر العقل: فأي دليل يرشد إليه؟ وأي برهان يقوم عليه. ينحصر الواحد في ثلاث أو الثلاث في واحد. بل الواحدة تناقض التعدد.

فما أجهلكم بطريق الحساب. ومن غلط في أول مرتبة من الحساب، فلأن يغلط فيما زاد عليها أولى.

ثم نقول: قولكم جوهر واحد هل هو قابل للأعراض كسائر الجواهر ومخالف لسائر الجواهر؟ فإن قلتم إنه مماثل لسائر الجواهر فيلزمه ما لزم الجواهر من قبول الأعراض ويكون حادثاً. وإن قلتم هو مخالف للجواهر وهو جوهر

---

(١٦١) كذا في الأصل.
(١٦٢) التكرار في الأصل.

فنقول لكم: قولوا أنه يقبل الأعراض لا كما تقبل الجواهر الأعراض. ثم إنكم أوجبتم علة ومعتلين بقولكم: الأب علة الابن، والروح وكل علة إنما تقوم بمعلولها لأنها من النسب الإضافية فلا يخلو إما أن يكون المعتلان هما المقومان للعلة أو لا يكون. فإن كان المعتلان هما المقومان فهما علة لها.

وقد انتقض ما أصلتم، وإن كانت العلة علة لا يحتاج إلى مقوم لها. فالأب عندكم لم يزل أباً من غير حاجة منه إلى ابن **يقومه** أباً وذلك نقض ما ادعيتم فإن العلة مع المعلول يتلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. ثم نقول: إضافة الابن والروح إلى الأب لا يخلو إما أن يكون على سبيل الفعلية ـ أي أنهما فعلان له أو ليسا بفعلين، فإن كانا على سبيل الفعلية وهو مكون لهما ثبت أنهما حادثين وهما من جملة العالم، وبطل أن يلحقا به وأن يكونا أزليين ووافقتم آريوس في مقالته أنهما مخلوقان وذلك يبين فساد ما ذهبتم إليه من ترتيبكم الابن إبناً للباري وأنتم توجبونه، فعليه فلا اختصاص له بالنبوة دون سائر الأفعال. وإن قلتم أنهما يضادان إليه لا على سبيل الفعلية بل هما معاً فليس أحدهما بأن يكون أباً والآخر إبناً أولى من الآخر لأنهما معاً في الوجود. ثم يلزم أن يشملهما لفظة المعية ولفظة المعية زمانية، والباري تعالى منزه عن الزمان كما هو منزه عن المكان.

ثم نقول لكم: إذا جوزتم حلول الكلمة في مريم واتحادها بجسد المسيح فبماذا ينزه الباري تعالى عن مخالطة الأجساد ومباشرتها وأن يتركب معها **فيأتي ومنها** جسم مأكول أو مشروب أو ملموس أو مدرك **يحمد** من جهة الحواس ويجوز عليه أن يُرى أو يشم أو يذاق أو يلمس ويحل في الأماكن ويستحيل في ذاته ويتغير. فإن قلتم هذا مستحيل عليه قلنا لكم وهذا بعينه موجود في حلول الكلمة في مريم البتول واتحادها بجسد المسيح فإنهما مستحيلان في المعقول.

ثم نقول لكم: كل واحد من الأقانيم لا يخلو إما أن يخالف صاحبه بذاته أو يوافقه بذاته، فإن خالفه بذاته كان أحدهما جوهراً والآخر لا جوهراً لأن الجوهر لا يجوز أن يخالف الجوهر بنفسه وبمعناه جوهراً وإن وافقه بذاته وليس هناك شيء سواه يخالفه به لم يجز أن يكون أحدهما أباً والآخر إبناً والآخر روحاً إذ هي جميع متفقة وليس فيها ما يختلف وهذا لا جواب لهم عنه.

ثم نقول إذا كان جوهر واحد ثلاث أقانيم، فمعنى أقانيم هو معنى جوهراً وغير، فإن كان معنى أقانيم هو معنى جوهر فهو واحد في الأقنومية كما هو واحد في الجوهرية ، وإن كان معنى أقانيم ليس معنى جوهر ففيها ما ليس بجوهر وذلك مخالف لما أصلتموه .

ثم نقول لكم إذا حمل على الجوهر العدد فلا بد من لحوق الكمية إياه إذا كان باب العددية ليس هو باب الجوهرية لأن كون الجوهر جوهراً غير محتمل للعدد، فإذا قلتم ثلاث أقانيم فقد لزمته الكمية لأن معنى جوهر ليس معنى ثلاث أقانيم، وإذا لزمته الكمية فقد لزمه العرض فصار بمعناه ثلاث أقانيم عرضاً وذلك نقض لما أدعيتموه(١٦٣)، فإن قلتم: يكون ثلاث أقانيم ولا يلحقه بذلك عدد ولا كمية قلنا فيلزمكم في جميع المعدودات كذلك أن لا يلحقها كمية وذلك خروج عن المعقول.

ثم نقول لكم إذا كان الأب علة للإبن ولروح القدس فهما معتلان للأب، وقد اختلفوا، فإن المعلول مخالف للعلة وليس يجوز أن يختلفا فيكون أحدهما علة والآخر معتلاً إلا باختلاف في جوهريها أو بأن يكون في أحدهما معنى به كان علة ليس في الآخر المعتل وفي الآخر معنى به كان معتلاً ليس في صاحبه وذلك يوجب أن يكون فيهما معاني غير الجوهر وهو نقض لما أصلتموه ثم نقرر كل طريق منهم بالنقض على حياله.

الرد على اليعاقبة

فنقول ليعقوب البراذعي ومن قال بقوله ـ أنه اتحد ـ ما تعني بالاتحاد؟ إن أردت به أن يرجع الإثنان واحداً فمحال، وإن أردت به الاختلاط كما يتوهم المتوهم اختلاط الأجسام فهو أيضاً محال إذ الإختلاط لا يتصور في الأجسام وإنما هي مجاورة، وكل اسم مختص بحيّزه. وإذا استحال ذلك في الأجسام الموجودة القائمة بأنفسها فلأن يستحيل في المعاني والخواص أولى، فكيف تتصور عندك المخالطة في الأقانيم التي هي خواص للجوهر وليست بموجودة على حيالها.

(١٦٣) وهو مفضٍ إلى نقض ما ادعوه من أن المسيح نزل ودعا ونام وشرب ثم مات وأنه كان ذاتاً، ولأدى ذلك بهم إلى إنكار شخصية المسيح إذ يكون حينئذ صفة من جملة صفات الله الكثيرة.

وقولك صار الأزلي هو المحدث بعينه وصار المحدث هو الأزلي بعينه فقد قلبت حقيقتهما، وانقلاب الحقائق محال لأن حقيقة القديم الذي لا أول لوجوده ولا يتصف بالزمان ولا بالمكان ولا يتصور في الخواطر والأوهام، وحقيقة الحادث ما له أول ويصح وصفه بالزمان والمكان ويتصور في الخواطر والأوهام فقد جمعت بين الضدين وقربت بين البعيدين وذلك جهل بالأمرين ونقول لنسطور ومن قال بقوله قد وافقنا على أن الأزلي يستحيل أن يصير زمنياً، والزمني يستحيل أن يصير أزلياً بجهة من الجهات وقلت أن المسيح معنيان: أحدهما أزلي والآخر زمني فقد جمعت بين حقيقتين متباينتين ووصف الأولى بالزمني والزمني بالأزلي وجمعت بين الأزلي والزمني لأن المعية شملتهما، وكل ما كان قبل المعية فهو زمني ومن صفة نفس الأزلي أن لا يقبل الزمان ولا يتصف به، ومن صفة نفس الزمني أن يتصف بالزمان ويقبل التجدّد وإلّا فكيف جعلت الزمني متحداً بغير الزمني وجوزت على الأزلي التغير بالزمني وأنت قد سلمت أنه لا يجوز عليه التغيير بقولك أن الأزلي يستحيل أن يصير زمنياً. والزمني يستحيل أن يصير أزلياً فكيف جوّزت ما أحلْتَ؟

وقولك الابن متحد بعيسى بالمشيئة والإرادة. فقد أبطلنا معنى الاتحاد وقلنا أنه لا يعقل ولا يتصور أن يصير الإثنان واحداً لأنه قلبٌ للحقائق وهو محال، فكما استحال أن يتعدد الواحد فكذلك يستحيل أن يتعدد المتعدد.

الرد على الملكانية:

ثم نقول: إذا علقت اتحاده بالمشيئة والارادة ـ والإرادة لا تتعلق إلا بممكن متجدد فكيف تتعلق الإرادة بأقنوم العلم الذي هو الإبن عندك وهو قديم فقد ذهبت إلى ما هو شرّ مما قررت منه. ونقول للمكلية: قولكم «أجمعنا على أنه ابن حقيقة» فكيف تدعون الإجماع ونسطورس يخالفكم .ويقول إن مريم العذراء ليست بوالدة الإلّه على الحقيقة. وكذلك أريوس يخالفكم.

ونقول: إن بنوّة المسيح إنما هي كبنوّة إسرائيل، وهو من المجازات التي

ذكرت في التوراة على سبيل التشريف فقد بطل اجتماعكم الذي استدللتم به[١٦٤].

ثم إنكم أفسدتم على يعقوب البراذعي من كون الجوهر الأزلي محدثاً وكون الجوهر المحدث أزلياً، وعلى نسطورس من تفضيله المسيح وتصييره إياه جوهرين متباينين، وذهبتم في الفساد إلى أبعد منهما بقولكم باتحاد الإبن الأزلي بعيسى من جهة الأقنومية. فإذا كان الاتحاد في الجوهرية مع كونها موجودة يستحيل، فلأن يستحيل في الأقنومية التي هي خاصة الجوهر أولى.

التناقض جوهراً ومعنى:

واعلموا رحمكم الله أن مذهب النصارى متناقض لفظاً ومعنى.

أما التناقض من حيث اللفظ فإنهم أطلقوا لفظ الجوهر ولفظ الأقانيم ولفظ الأب والابن[١٦٥] وهي ألفاظ موهمة في موضعها تشبيهاً، ثم زعموا أن الجوهر ثلاث أقانيم، ثم زعموا أن الثلاثة واحد. فآخر الكلام يرفع أوله وأوله يرفع آخره.

وأما التناقض من حيث المعنى فالواحد لا يكون ثلاثة، والثلاثة لا يكون واحداً وإلا فترتفع الوحدة ويرتفع العدد.

الإشارة إلى ما أخطأ فيه أريوس:

ونقول لأريوس ـ الذي قال: كان الأب ولم يكن الابن ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم إنه فوض الأمر إلى ذلك الإبن المسمى «كلمة» فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما كما قال في الإنجيل «وهب لي سلطاناً على السموات والأرض ـ فنقول له: قد وافقتنا على نفي

(١٦٤) أين الدليل على هذا التوجيه الذي ذهب إليه المصنف؟ إن هذا مفضٍ إلى القول بجواز إطلاق هذا اللفظ على سبيل المجاز وهذا ما لم يعرف في تاريخ أمتنا. وإنما هذا اللفظ لفظ موهم والتأدب مع الله تعالى أمر واجب، ولفظ «الرب» أحب إلينا من الأب.

(١٦٥) ولعل ذلك يؤيد ما أشرت إليه.

التثليث وقلت إنه مستحيل في العقول. وخالفتنا في قولك أنه فوض الأمر إلى ذلك الإبن المسمى «كلمة» فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما. فنقول: قد سلمت لنا أن الإبن محدث مخلوق أحدثه الباري تعالى بقدرته، فلا تخلو[١٦٦] القدرة التي أحدث بها الإبن: إما أن تكون قد تناهت أو استحالت.

أو نقول يستحيل عليها التناهي والإستحالة. فإن قلت تناهت، فيلزمها التخصيص وهو دليل الحدوث.

وإن قلت يستحيل عليها التغيير والتناهي، فليس بعض المحدثات بإضافته إليها بأولى من الكل إذ هي عامة التعليق بكل حادث.

وأما استشهادك بنص الإنجيل على صحة ما ذهبت إليه فليس فيه دليل إذ قوله، وهب لي سلطاناً على السموات والأرض يحتمل أن يراد بها قدرة أطيعك بها في السماء والأرض. ويحتمل أن يراد بها دليل اهتدى به في السماء والأرض[١٦٧].

نقد الأمانة التي قرروها في مجامعهم:

وأما الجواب عن الأمانة التي هي على الحقيقة خيانة فهي متناقضة في اللفظ وفي المعنى وأنا أتكلم عليها بعون الله حرفاً حرفاً وأبيّن ما اشتملت عليه من الألفاظ المتهافتة والمعاني المتناقضة فنقول:

أما قولكم نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى فقد نقضتموه بقولكم وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر الخلائق

(١٦٦) في الأصل: تخل.

(١٦٧) لو كانت الأناجيل كتاباً إلٓهياً سالماً من التحريف ـ وهو ثابت ـ لاحتيج معه إلى تأويل يوفق به بين متعارضين ظاهراً. لكن الأناجيل التي بين أيدينا ليست منسوبة إلى المسيح أصلاً، ولم يدع كاتبوها أنهم سمعوا كلام الله فكتبوه، وإنما كانوا كُتّاب وقائع لا أكثر، فضلاً عن أن تكون أناجيلهم كتاباً إلٓهياً محرفاً. فتأويل ما فيها مخالف لموقفنا منها، بل نقول بلا تردد ولا التماس أو توجيه: إن هذا كلام باطل فإن المسيح لم يؤت إلا ما أُخبرنا به في القرآن وما يقال خلاف ذلك أو زيادة عليه مخالفة للقرآن لا ريب، ونحن مأمورون أن لا نصدق أهل الكتاب فيما خالف كتاب ربنا لا أن نتأوله.

كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع إله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتفقت العوالم وخلق كل شيء.

وقولكم بالرب الواحد يسوع ابن الله ناقض قولكم بالأب الواحد وبيان ذلك أنكم أثبتم أباً وابناً فإن كانا جميعاً شيئاً واحداً استحال أن يتنوع الشيء الواحد فيكون أباً لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون أباً لنفسه وذلك محال. وأيضاً فلو كان الأب والإبن شيئاً واحداً للزمكم أن يكون كلما وصفتم به الإبن فهو وصفٌ للأب، فيلزم على قولكم[١٦٨] هذا أن يكون الأب موصوفاً بأنه بكر الخلائق مولود قبل العوالم وأن يكون قد نزل من السماء بخلاصكم[١٦٩] إلى غير ذلك مما وصفتم به الإبن فلما بطل هذا بطل أن يكونا شيئاً واحداً.

وإذا كان الأب والإبن شيئين فقد وصفتم كل واحد منهما بأنه رب وإله، وإذا كان كل واحد من الشيئين إلهاً فهما إلهان فهذا يُبطل وصف الأب بالوحدانية ووصف الإبن أيضاً بالوحدانية لأنهما ربان وإلهان وشيئان ليس أحدهما هو الآخر إذ ليس هو موصوفاً بما وصف به الآخر على ما بيّنا.

ثم نقضتم قولكم في الأب صانع ما يرى وما لا يرى بقولكم في الإبن بيده اتفقت العوالم وخلق كل شيء وهذا تخليط لأنه إن كان الأب صانع العالم كله فكيف يكون الإبن خالق كل شيء؟ وإن كان الإبن خالق كل شيء فكيف يكون صانعاً للعالم كله؟ فإن عادوا إلى أن الأب والإبن شيئاً واحداً ـ فما فعله أحدهما فعله الآخر ـ عدنا لهم وألزمناهم إن كان شيئاً واحداً أن ثبت صفات الإبن للأب على ما بيّنا. ويلزمهم أيضاً إذا كان الأب والإبن شيئاً واحداً أن يكون المتجسد تجسد عيسى الإبن والأب جميعاً إذ يستحيل في الشيء الواحد أن ينقسم. فلما قالوا بأجمعهم أن المتجسد هو الإبن دون الأب بطل أن يكونا شيئاً واحداً.

وأما قولكم أنه بكر الخلائق فقد أثبتم بهذا اللفظ أن الإبن مخلوق لأن المعقول من قولكم بكر المخلوقات أي أول المخلوقات، وأول المخلوقات مخلوق،

---

(١٦٨) ناقصة في الأصل.
(١٦٩) لعل الصواب: لخلاصكم.

ثم نقضتم هذا بقولكم وليس بمصنوع، وهذا تناقض بيّن. ثم قد نقضتم أصولكم من وجه آخر، وذلك أنكم وصفتم يسوع المسيح بأنه ولد من أبيه قبل الخلائق، ولا خلاف بينكم أن يسوع المسيح اسم لا يختص باللاهوت بل هو اسم للناسوت واللاهوت جميعاً فإذا قلتم في هذا الاسم الذي هو عبارة عن اللاهوت والناسوت أنه ولد من الأب قبل الخلائق فقد جعلتم الناسوت الذي اتحد به اللاهوت مولوداً من الأب وأنتم تأبون ذلك وتقولون أن المولود من الأب إنما هو اللاهوت وهي الكلمة ولم تكن إذ ذاك ناسوتاً لأن الناسوت مأخوذ من ناسوت مريم.

ولم تكن الكلمة في الأزل ناسوتاً ولا يسوعاً وليس بمخلوق في هذا وهو مناقض لما قلتم في الأمانة لأنكم جعلتم يسوع المسيح متولداً من الأب ويسوع المسيح هو اللاهوت والناسوت فقد ولد الأب الناسوت على هذا القول وهذا باطل.

رد أسطورة التجسد:

وأما قولكم في بقية الأمانة الذي من أجلنا يا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساً وحُبل به ثم ولد من مريم البتول وأولم واتجع[170] وقتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث: فهذا قول من هدم عقله وسلب فهمه وغلب عليه هواه وطبع الله على قلبه وأعماه.

وأول ما فيه أنهم جعلوا إلٰهم يعجز عن خلاصهم ما لم يفعل[171] بنفسه ما لا يليق بالإلٰه من هذه الخصال الرذيلة. فلم يكن يقدر على خلاصهم حتى نزل بنفسه من السماء وتجسد بجسدٍ محدث، ودخل في بطن امرأة وخرج من فرجها ثم حل به بعد ذلك ما وصفوه آنفاً فكأنه لو لم يكن يتجسّد المرأة ويحتمي بما أخذه من ناسوتها لم يقدر على خلاصهم.

فما نرى الناسوت إلا أقوى من الإلٰه، إذ لولاه لم يقدر لكم الإلٰه على

(١٧٠) كذا في الأصل.

(١٧١) كذا ولعل الصواب: فيفعل بنفسه. من غير (مالم).

خلاص. ثم نراه أيضاً قدر على خلاصكم وهو سالم من هذه الآفات والنقائص بل كأنه فداكم بنفسه وتقدم يحمل البلاء عنكم فقد حل به البلاء عنكم!

فبعداً وسحقاً لهذا الإله، ولا كان خلاص يرجى من عند من هذه صفته ولا كنتم ولا كان خلاصكم الذي أحوج إلهكم إلى أن يعمل بنفسه هذه الدناءة والنقائص.

الفداء عن الخطيئة مشجعة على ارتكاب كل خطيئة:

نقول: والعجب من هذا أن هذا الإله بعد أن فعل بنفسه من الذل والهوان ما وصفتم في إرادة خلاصكم من آفات الدنيا، فما نراه خلصكم بل أنتم باقون على ما كنتم عليه من طبع البشر: تعلمون وتموتون وتقتلون. بكل وادٍ، ويجري عليكم ما يجري على جميع بني آدم، فإن كان أراد خلاصكم من التكاليف والمطالبات بالعبادات فأبحتم المحرمات لدفع الآثام عنكم فما نراه أيضاً جعل له ذلك، بل أنتم بإقراركم باقون على أحكام التكليف، مؤاخذون بجملة أفعالكم، ولولا ذلك لكان ينبغي أن يكون الذين قتلوا إلهكم - على زعمكم - وقتلوا حوارييه وأحرقوا أسفاره غير خاطئين ولا آثمين لأن إلهكم حمل عنهم خطاياهم لأنهم من جملة الناس، وقد قلتم أنه نزل من أجلنا يا معشر الناس، وكذلك من قتل منكم وسرق وزنا وفسق وركب سائر الذنوب يجب على هذا القول أن لا يكون مؤاخذاً بخطيئته ولا مأثوماً على فعله، وإن كان أراد خلاصكم من عذاب الآخرة وما يجري على العباد يوم القيامة فإنجيلكم يكذب هذا القول ويخبر أن الخلائق بعد المسيح موقوفون يوم القيامة مسؤولون عن أعمالهم مؤاخذون بجرائر أفعالهم وذلك أنكم حكيتم عن المسيح أنه قال «إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وعلى ميسرتي [فأقول][١٧٢] لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني وكنت غريباً فلم تروني ومحبوساً فلم تزوروني ومريضاً فلم تعودوني فاذهبوا إلى النار المعدة لكم قبل تأسيس الدنيا.

---

(١٧٢) غير واضحة في الأصل.

وأقول لأهل الميمنة فعلتم بي هذه الأشياء فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا»[173]. فمن قال إن الخطيئة بطلت بنزول المسيح فقد كذب قول المسيح هذا.

وكذلك قال المسيح أيضاً في الإنجيل: «ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا أليس قدسنا باسمك وأخرجنا الشياطين فيقول: اغربوا أيتها الفجرة العادون فما أن عرفتكم قط»[174].

فنقول لكم: الآن يا معشر النصارى إذا لم يحصل بنزول المسيح خلاصكم من آلام الدنيا وعذابها ولا من مطالبة الآخرة وعقابها ولا من مشقة التكاليف بإلزام العبادات واجتناب المحرمات، فأي خلاص لكم؟ وإنما هما داران لا ثالث لهما: دنيا وأخرى. فإذا لم يتخلصوا فيهما، فأين ترجون الخلاص الذي نزل إلهكم لأجله وفعل بنفسه ما فعل ثم لم يتم له ما أراد من ذلك.

وأما قولكم من جوهر أبيه فهذا يقتضي أنه والأب شيء واحد - في قولهم - أن الأب صانع العالم وأن الابن خالق كل شيء فقد جعلوا جوهره وجوهر الأب واحداً، وفعله فعل الأب واحداً، ثم نقضوا هذا كله بقولهم في هذه الأمانة: «وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه» وهذا يبطل كونه من جوهر الأب ويمنع من كونهما شيئاً واحداً لأن الشيء الواحد لا يوصف بأنه جالس عن يمين نفسه، وإنما يتحقق هذا الوصف في شيئين وجوهرين.

فهذا نقض أمانتهم التي قذفها الشيطان في قلوبهم وفيها من التناقض والتهافت ما يرى.

هل تصلح المعجزات لتكون دليلاً على الألوهية:

وأما الكلام على مجامعهم فكفانا الله مؤنة الكلام عليها بردّ بعضهم على بعض فيها وتكفيره ولعنه. واعلموا رحمكم الله أنما أوقع النصارى في هذا الضلال

---

(١٧٣) متى ٢٥: ٤١.
(١٧٤) متى ٧: ٢٢.

والتخليط الذي وضعوه ما ظهر على يد عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فقالوا: إن هذه الأفعال لا تصدر إلا عن الإلّه. ولم يعلموا أن هذه معجزات يظهرها الله على يد من يشاء من عباده.

وقد قال في سفر الملوك أن الياس أحيا ابن الأرملة[١٧٥]، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية[١٧٦]، وأن حزقائيل النبي أحيا بشراً كثيراً[١٧٧]، وقد أبرأ اليسع الأبرص كما قال في سفر الملوك أن رجلاً من عظماء الروم يقال له نعيمان تبرّص فرحل من بلده قاصداً اليسع ليبرئه فاستأذن عليه فلم يأذن له وقال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس في الأردن سبع مرات ففعل ذلك فذهب عنه البرص ورجع قاصداً إلى بلده فأتبعه غلام لليسع يقال له «حجري» فأوهمه أن اليسع وجّهه ليطلب منه مالاً فسرّ به الرجل ودفع إليه مالاً وجوهراً فأخفاه الخادم ورجع إلى اليسع فقال له اليسع تبعت نعيمان وأوهمته أني كذا وكذا وأخفيته في موضع كذا وكذا؟ إذ فعلت ذلك فليصر برصه عليك وعلى نسلك. فتبرص الخادم على المكان[١٧٨].

فهذا اليسع أبرأ الملك من البرص وجعل غلامه أبرص بعد أن كان بريئاً ثم لم يكن بذلك إلهاً.

وأما إبراء الأكمه فالتوراة تخبر أن يوسف الصديق أبرأ عيني أبيه يعقوب عليهما السلام بعد أن ذهبت[١٧٩] ولم يكن بذلك إلّهاً. إلى غير ذلك من آيات الأنبياء التي ظهرت على أيديهم ولم يكونوا بذلك آلهة.

بيان أغلاط الأناجيل:

الأصل الثالث: من غلط النقلة للأناجيل وبيان تناقضها:

من ذلك أن متى قال في إنجيله أن من إبراهيم عليه السلام إلى يوسف

---

(١٧٥) سفر الملوك الأول ١٧: ٨.
(١٧٦) سفر الملوك الثاني ٤: ٣٢.
(١٧٧) حزقيال ٣٧: ١.
(١٧٨) سفر الملوك الثاني: الإصحاح الخامس بكامله.
(١٧٩) تكوين ٤٥: ٢٧.

الذي تزعم النصارى أنه زوج مريم إثنان وأربعون ولادة[180].

وفي إنجيل لوقا من المسيح إلى إبراهيم أربعة وخمسون رجلاً[181].

فقد اختلفا في العدد، ثم لما سموا الرجال لم يتفقوا إلا في أقلهم، واختلفوا في الأكثر ومن ذلك أن يُوحنا ـ وهو أصغرهم سناً وآخرهم وصفاً ـ قال: إن أول آية أظهرها المسيح بقرية قاطيا [182] الخليل أنه كان في دعوة فحول الماء شراباً[183]. ولم يذكر هذه الآية أصحابه الثلاث.

ومن ذلك أي يوحنا ذكر وحده أن المسيح غسل أقدام تلامذته ومسحها بمنديل كان مشدوداً في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع والبر[184]. ولم يذكر أصحابه الثلاثة أيضاً ذلك.

ومنها أن يوحنا التلميذ ذكر في الفصل الأول أن المسيح أتى إلى يوحنا المعمداني فيمن كان يأتيه من بني إسرائيل للإنصباغ على يده. فلما وقع فيه أنه المسيح قال فيه يوحنا «إن هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت يأتي بعدي، وأنه أقوى مني وأني لا أستحل أن أحل مقعد حقه، وهو الذي في يده المحرقة وتبقى بيدرِه فتجتمع الحنطة في اهرائه وتحترق الأتبان بالنار التي تطفى وهو أبدى »[185].

قلت: أنه متقدم لي وخالفه في ذلك صاحباه: متّى ولوقا. وأما مرقس فلم يذكر ذلك ألبتة. وأما متى فذكر في **إنجيله** أن يحيى بن زكريا حين رأى المسيح قال له: «إني محتاج إلى أن أعتمد[186] على يدك وها أنت قد أجبتني لذلك وأنه بعد

---

(١٨٠) متى ١: ١ ـ ١٦.
(١٨١) لوقا ٣: ٢٣ ـ ٣٨.
(١٨٢) كذا والصواب «قانا».
(١٨٣) أنظر يوحنا ٢: ٢ ـ ١١.
(١٨٤) أنظر يوحنا ١٣: ٤ ـ ١٢.
(١٨٥) في المتن زيادة على ما في يوحنا. أنظر ١؛ ٢٩.
(١٨٦) غير واضحة في الأصل، وعلى كلٍ فاللفظ المنقول عنه «أعتمد» انظر متّى ٣: ١٤.

ذلك أرسل إلى المسيح مع تلامذته وقال: «أنت الذي أعني أو يُتوقع غيرُك»[١٨٧]؟. وهو خلاف ما قاله يوحنا لأن يوحنا حكى أن يحيى قال «هو الذي قلت أنه يأتي بعدي وأنه أقوى مني»[١٨٨]. ولم يشك في ذلك ولا أحتاج إلى سؤال المسيح. ومتّى حكى أنه ما علم ذلك حتى أرسل يسأل المسيح عنه، وهذا خلاف فاحش.

ومن ذلك أن متّى ذكر في إنجيله أن يوسف ـ خطيب مريم أم المسيح ـ كان أبوه يسمى يعقوب بن مابان[١٨٩] وذكر لوقا في إنجيله خلافه فزعم أن المسيح كان إلى الوقت الذي ابتدأ بالدعاء فيه قد مضى له من نحو ثلاثين سنة وهو يظن أن أباه يوسف بن هال بن مطت[١٩٠].

ومن ذلك أن متى ذكر في إنجيله أن المسيح صلب وصلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأنهما جعلا يعيران المسيح. وذكر لوقا في إنجيله خلاف ذلك الفعل فزعم أن الذي كان يعير المسيح من المصلوبين أحدهما، وأن الآخر أنكر عليه ذلك الفعل وانتهره وقال له: «ما تتقي الله مع ما نحن فيه وإنما جوزينا بأعمالنا وهذا فلم يعمل قبيحاً وأنه قال للمسيح في ذلك الوقت أذكرني يا سيدي يوم نجيئك في الملكوت فقال المسيح حقاً أقول ستكون في هذا اليوم معي في الفردوس»[١٩١]. وهذا خلاف قول متى أنهما جعلا جميعاً يعيران المسيح.

ومن ذلك أن متى ذكر في إنجيله أن مريم المجدلانية جاءت لزيارة قبر المسيح عشية السبت التي صُبحها الأحد ومعها امرأة أخرى فإذا رجة شديدة لأن ملكاً نزل من السماء فأزال صخرة كانت على القبر وجلس هناك وقال لها وللمرأة التي معها «لا تخافا فإنني قد علمت أنكما جئتما إلى هذا الذي قد صلب وليس هو ها هنا وقد انبعث من بين الأموات وقد سبقكما إلى الخليل فمضيا مسرعين فإذا

---

(١٨٧) متى ١١: ٣.
(١٨٨) هذا النص ليس في يوحنا وإنما في متى ٣: ١١.
(١٨٩) الصحيح «متان».
(١٩٠) قارن بين متى ١: ١٥ وبين لوقا ٣: ٢٣.
(١٩١) قارن بين متى ٢٧: ٤٤ وبين لوقا ٢٣: ٣٩ ـ ٤٣.

عيسى قد لقيهما وقال: السلام عليكما فدنتا من رجليه فخرتا ساجدتين له فقال لهما عيسى: لا بأس عليكما؛ إنطلقا إلى إخوتي فقولا لهم ينطلقون إلى الخليل»(١٩٢).

وذكر يوحنا في إنجيله خلاف ذلك وقال أن مريم جاءت يوم الأحد بغلس، ولم يذكر معها امرأة أخرى فرأت الصخرة قد رفعت فجاءت إلى شمعون الصفا وإلى تلميذ آخر فقالت لهما إن المسيح قد أخذ من تلك المقبرة ولا ندري أي موضع جعل فخرج شمعون الصفا والتلميذ الآخر جميعاً، فأبصر[ا](١٩٣) الأكفان موضوعة ناحية من القبر فلما رأيا ذلك رجعا وجلست مريم المجدلانية عند القبر تبكي، فبينما هي كذلك إذ نظرت في القبر فأبصرت ملكين جالسين حيث كان جسد المسيح مدفوناً عليهما ثياب خضر وأحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال فقالا لها أيتها المرأة ما يبكيك؟ قالت لهما خذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه فبينما هي تقول كذلك إذ التفتت وراءها فأبصرت عيسى قائماً ولم تعرفه.

فقال لها عيسى : أيتها المرأة ما يبكيك وما تريدين ؟ فظنت أنه حافظ البستان فقالت له : إن كنت أخذته فدلني أين وضعته حتى أذهب إليه . فقال لها عيسى : يا مريم ، فَعَرَفَتْهُ وقالت بالعبرانية ربوي تفسيري يا معلم فقال لها لا تدن مني لم أصعد بعد إنطلقي إلى إخوتي فقولي لهم إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم فجاءت مريم فبشرت التلاميذ »(١٩٤).

وهذا كما ترون اختلاف يكذب بعضه بعضاً لأن أحدهما يقول أن الملك هو الذي بعثها إلى التلاميذ والآخر يقول إن عيسى هو الذي بعثها، وأحدهما يقول عشية السبت التي صبحتها يوم الأحد والآخر يقول يوم الأحد وأحدهما يحكي عن امرأة وحدها ، وآخر يحكي عن امرأتين والنصارى يقولون إن الشيطان لم يعرف المسيح وظن أنه شيطان إنسان من ذكر وأنثى ولم يعلم أنه جاء ليخلص

(١٩٢) متى ٢٨ : ١ ـ ١٠.
(١٩٣) في المخطوط « فأبصر » .
(١٩٤) متى ٤ : ١ ـ ٤ .

العالم من أيديهم لأجل خطية آدم كما زعموا . وكذبهم متى في إنجيله وقال أن الشيطان جرب المسيح وقال له « إن كنت إبن الله كما تزعم فقل لهذه الحجارة تصير خبزاً لأنك جيعان فقال له المسيح إذهب عني يا شيطان إن في التوراة مكتوباً إن ليس على الخبز وحده يعيش الإنسان » فمتى زعم أن الشيطان عرفه وأنتم تزعمون أنه لم يعرفه ، فعرفونا كيف الجمع بين هذين القولين المتناقضين !!!

ومنها أن الأربع أناجيل أجمعوا بزعمهم أنه كان للمسيح إخوة وأخوات[١٩٥]، وفي موضع آخر يذكر فيها ابنه الوحيد[١٩٦] وفيها أن شهادة الواحد لا تجوز أن تقبل. وقلتم أن إحياء العازار الميت بعد أربعة أيام كان في القبر بشهادة يوحنا وحده[١٩٧].

وأما ما ذكره متى ومرقس أنه أحيا جارية بنت قائد: فهما قد نقضا كلامهما من أوله إلى آخره فقالا: فلما وصلا إلى البيت الذي كانت فيه الجارية قال لهم: «ما ماتت بل هي نائمة ثم دخل الموضع ولم يترك أحداً يجوز معه غير أبيها فزعق بها وقامت الجارية فقال لهما: لا تخبرا[١٩٨] أحداً[١٩٩] فقول من يُقبل؟ من قال كانت نائمة ـ وهو المسيح ـ أو قول من قال أحياها؟ وهذا كله في ساعة واحدة وفي لحظة واحدة.

فانظروا رحمكم الله إلى هذا الاختلاف الذي في الأناجيل الذي لم يوافق أحدهما الآخر. وهذا القدر الذي ذكرناه من الاختلاف كاف.

---

(١٩٥) أنظر متى ١٢: ٤٦ ـ ٥٠، مرقس ٣: ٣١ ـ ٣٥، لوقا ٨: ١٩ ـ ٢١، يوحنا ٢: ١٢ وكذلك ٧: ٣ و ٥. وانظر أعمال الرسل ١: ١٤.

(١٩٦) لعله يريد بذلك ما جاء في (يوحنا ٣: ١٦) «حتى بذل إبنه الوحيد» وقد ثبت أن كلمة الوحيد قد أضيفت مكان كلمة «المولود».

وكذلك ورد وصف المسيح بأنه ابن الله الوحيد أنظر: يوحنا ٣: ١٨، ورسالة يوحنا الأولى ٤: ٩.

(١٩٧) أنظر يوحنا ١١: ١٤ ـ ٤٤.

(١٩٨) في الأصل: تخبران.

(١٩٩) متى ٩: ٢٤، مرقس ٥: ٣٩، لوقا ٨: ٥٢.

البشارة بمحمد ﷺ من الأناجيل

الأصل الرابع: في ذكر النبي الأمي ﷺ في الإنجيل كما أخبر عنه التنزيل فنقول يا معشر النصارى: أليس في إنجيل لوقا أنه لما جلس عيسى عليه السلام على العين التي في أصل نابلس من المغرب وتلاميذه فقال لهم: «ما الذي تقولون الياس عن ابن البشر ـ وهو يعني بذلك نفسه ـ فقال له بعضهم: يقول إنك الياس النبي، وبعضهم يقول إنك واحد من الأنبياء، وبعضهم يقول إنك أكمد النبي الذي يجيء في آخر الزمان[٢٠٠]. ومعنى أكمد أحمد إذ ليس عندكم حرف الحاء فأبدلتم الحاء بالكاف فقلتم أكمد وهو أحمد.

وكذلك قال في الإنجيل أكمد البالقليط يعلمكم كل شيء تختلفون فيه[٢٠١]. فهو قد جاء إلينا بحمد الله وعلمنا كل شيء وأنقذنا عن عبادة الأوثان بعبادة الملك الديان.

فنحن ولله الحمد كما قال عيسى عليه السلام في الإنجيل: «يكونون الأولون آخرون والآخرون أولون»[٢٠٢]. فصرنا نحن أولين والحمد لله، وصرتم أنتم آخرين.

---

(٢٠٠) أنظر لوقا ٩: ١٨ ـ ٢٠، ومتى ١٦: ١٣ ـ ١٨ ولا توجد الآن كلمة «أكمد» أو«الفارقليط» ولا غرابة فالأناجيل تتعرض في كل حقبة حملة تغيير وتبديل وطمس.

(٢٠١) يوحنا ١٤: ٢٦.

(٢٠٢) مرقس ١٠: ٣١.

وقال يوحنا في إنجيله: إن عيسى عليه السلام قال للتلاميذ أن الله تعالى يبعث لكم البالقليط فهو يعلمكم كل شيء تختلفون فيه والبالقليط هو باللغة الرومية الروح المحمود.

وقال يوحنا في إنجيله أن عيسى عليه السلام قال للتلاميذ: «السلام أنزل لكم لتكونوا سالمين فمن تتبع غيره لا يكون له سلم»(٢٠٣). وهو الدين الذي بعث به محمد ﷺ الذي خرج به من الغيدر بن إسماعيل عليه السلام الذي ذكره داود عليه السلام في المزمور المائة والحادي عشر ذكر فيه داود عليه السلام يخرج من القيدارامة تذكر الله تعالى من خناجرها وبأيديهم السيف القاطع من طرفيه وينتقمون لله من الذين لا يعبدونه يستأسرون الملوك والرؤساء في القيود يصنعون ذلك فيهم بحكم الله وأولياؤه يسبحونه ويهلكونه ولولا التطويل لملأت الأوراق من دلائل النبي ﷺ وعلاماته من كتب الله المنزلة على أنبيائه، وإنما ألزمت نفسي في هذا الكتاب أن أبين نبوّته في الإنجيل.

وإنما أوردت هذا المزمور ولنستشهد بقول داود عليه السلام على صحة قولي أنه النبي الذي هو مذكور في الإنجيل.

وفي الإنجيل أن المسيح قال للحواريين: «أنا ذاهب وسيأتيكم البالقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما هو كما يقال له، وهو يشهد عليّ وأنتم تشهدون لي، فإنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به(٢٠٥).

وقال يوحنا عن المسيح أنه قال: «البالقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا

---

(٢٠٣) لم أجدها في يوحنا ولا في غيره.

(٢٠٤) لا يوجد هذا النص في المزمور الذي أشار إليه المصنف. وفي المزمور الأربع والتسعين ومئة ما يشبهه.

(٢٠٥) يوحنا ١٥: ٢٦ وفي متن المصنف اختلاف واضح ففي الإصحاح المذكور: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء». فعند المصنف أن المعزي يشهد على المسيح وفي الإنجيل أنه يشهد له.

جاء وبخ العالم على الخطية ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب»[٢٠٦] فمن أخبر عن خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وجميع الحوادث التي تأتي آخر الزمان غير نبينا محمد ﷺ؟

وفي حكاية أخرى عن الإنجيل أن البالقليط «روح الحق الذي يرسله ربي باسمي يعلمكم كل شيء»[٢٠٧] ومعنى باسمي أي يشهد بنبوتي.

وقال في موضع آخر من الإنجيل: «إني سائل ربي أن يبعث لكم بالقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شيء»[٢٠٨].

وفي حكاية أخرى من الإنجيل: «ابن البشر ذاهب والبالقليط من بعده يجيء لكم للأشرار ويفسر لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل»[٢٠٩]. فمن هذا الذي هو روح الحق الذي لا يتكلم إلا بما يوحى إليه.

ومن العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به؟ ومن ذا الذي أخبرنا بالحوادث في الأزمنة من خروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشبهه؟ وبالغيوب من أمر القيامة والحساب والجنة والنار وأشباهه ما لم يفصل في كتاب من الكتب المنزلة لا في التوراة ولا في الإنجيل؟ وإنما فُصِّلَتْ هذه القضايا كلها في شريعة نبينا محمد ﷺ.

وقال في إنجيله أنه لما جلس يحيى بن زكريا عليهما السلام ليقتل: بعث تلاميذه إلى المسيح وقال له «قولوا له أنت الآتي أو يتوقع غيرك»[٢١٠]؟ فأجابه المسيح وقال له: «الحق اليقين أقول لكم أنه لم تتم النساء عن أفضل من يحيى بن

---

(٢٠٦) يوحنا ١٦: ٧ ـ ١٥.
(٢٠٧) يوحنا ١٤: ٢٦.
(٢٠٨) يوحنا ١٤: ١٦ ـ ١٧.
(٢٠٩) لم أجدها في الأناجيل.
(٢١٠) متى ١١: ٣.

زكريا وأن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحيى، فأما الآن فإن شئتم فاسمعوا أن إليا المُزْمَع أن يأتي فمن كانت له أذنان سميعتان فليسمع»[٢١١].

ومعنى إليا إيل وإيل اسم الله تعالى بالعبرانية، فيكون معناه «مجيء الله». ومعنى مجيء الله هو مجيء رسوله كما قال في التوراة: «جاء الله من سينا»[٢١٢]انزاله التوراة على موسى من طور سيناء.

هذا ما فتح الله عليّ به في هذا الوقت مع تشعب الخاطر وتبدد الفكر في الرد على النصارى وإن ساعدت الأقدار ومد الله في العمر صنفت تصنيفاً في الرد على اليهود إخوة الخنازير والقرود فيما أخفوه من نبوة محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(٢١١) هذا الجواب لم يكن مباشرة بعد كلام يوحنا. أنظر متى ١١: ١١.
(٢١٢) التثنية ٣٣: ١.

أهم المصادر والمراجع

(١) **أضواء على المسيحية،** د. رؤوف شلبي ـ الدار الكويتية ـ الكويت.

(٢) **إظهار الحق،** رحمت الله الهندي ـ دار التراث العربي ـ مصر.

(٣) **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،** للرازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ـ دار التراث العربي ـ مصر.**

(٥) **الله واحد أم ثالوث** محمد مجدي مرجان ـ دار النهضة العربية.

(٦) **بين الإسلام والمسيحية،** أبو عبيدة الخزرجي ـ مكتبة وهبة ـ مصر.

(٧) **الدليل إلى أحكام التوراة والإنجيل،** د. إحسان حقي ـ مكتبة المنار ـ الكويت.

(٨) **الفصل في الملل والنحل،** الشهرستاني ـ ابن حزم ـ دار الفكر ـ بيروت.

(٩) **فهرس الكتاب المقدس،** د. جورج بوست ـ مكتبة المشعل ـ بيروت.

(١٠) **الكتاب المقدس،** دار الكتاب المقدس.

(١١) **محاضرات في النصرانية،** محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ مصر.

(١٢) **المسيح إنسان أم إله،** محمد مجدي مرجان ـ مكتبة الحرمين.

(١٣) **المسيحية،** د. أحمد شلبي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ مصر.

(١٤) **المسيحية ـ نشأتها وتطورها**، شارل جنيبير ـ المكتبة العصرية ـ صيدا.

(١٥) **محمد في الكتب المقدسة**، عبد الأحد داود ـ دار الضياء ـ قطر.

(١٦) **محمد في الكتب المقدسة**، محمد رواس قلعجي ـ دار السلام ـ دمشق.

(١٧) **محمد نبي الإسلام**، محمد عزت الطهطاوي ـ مطبعة التقدم ـ مصر.

(١٨) **نبوة محمد من الشك إلى اليقين**، فاضل السامرائي ـ مكتبة القدس ـ بغداد.

(١٩) **النصرانية والإسلام**، محمد عزت الطهطاوي ـ دار الأنصار ـ مصر.

(٢٠) **هداية الحيارى**، ابن القيم الجوزية ـ المكتبة القيمة ـ السودان.

(٢١) **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، د. رؤوف شلبي ـ دار الاعتصام ـ مصر.

فهرس الموضوعات